التفكير العلمي وتطبيقاته في المجال الدعوي

إعداد

د. السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم

والأستاذ المساعد في جامعة الأزهر (كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة – قسم الدعوة والثقافة الإسلامية)

من ٤٨٧ إلى ٥٨٦

Scientific Thinking And Its Applications In The Field Of Da`wah

DR/ Al-Said Shabaan Al-Desouky Ibrahim

College Of Sharia And Islamic Studies, Qassim University, Kingdom Of Saudi Arabia.
And Department Of Da`wah And Islamic Culture, College Of Fundamentals Of Religion And Da`wah, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt,

التفكير العلمي وتطبيقاته في المجال الدعوي

السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.
وقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.
البريد الإلكتروني: drsaidrakha@gmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى إبراز قيمة التفكير، والتأكيد على عناية الإسلام بالتفكير العلمي، وبيان أهميته في كافة ميادين الحياة، لا سيما في هذه الآونة التي انتشرت فيها الأمية العلمية، وغلب التفكير الخرافي على قطاعات ليست بالقليلة من أفراد المجتمعات العربية والإسلامية، ولم يقتصر ذلك على البسطاء والعوام، وإنما تعدى إلى كثير من المتعلمين، بل وبعض الدعاة الذين سيطرت عليهم الأوهام والخرافات، ولذا لم يعد التفكير العلمي رفاهية، بل هو فريضة العصر وواجب الوقت، لا سيما في مجالات الدعوة، والتربية، والتعليم، ونحوها، وتأتي الدراسة في ثلاثة مباحث: الأول: يتناول مفهوم التفكير وأهميته، وأنواعه وأنماطه، والثاني: يتناول مفهوم التفكير العلمي وعناية الإسلام به، وخصائصه مستنبطًا التطبيقات الدعوية لكل خصيصة، والثالث: يتناول القواعد المنهجية للتفكير العلمي، ويبين كيف يمكن توظيفها في المجال الدعوي. وقد خلص الباحث إلى أن التفكير العلمي ليس حكرًا على العلماء وحدهم، فهو نشاط عقلي هادف ومنظم يشمل العلماء وغيرهم، كما يشمل كافة أنواع العلوم الدينية والدنيوية، كما خلص إلى قواعد منهجية يقوم عليها التفكير العلمي، ويمكن توظيفها في المجال الدعوي، ومنها: بناء العقلية العلمية، وتعزيز ثقافة التفكير السنني، وتحرير العقل من التعصب والجمود والتقليد والتبعية، والحرص على طلب العلم النافع بضوابطه، واعتماد مبدأ الملاحظة والتجربة في الأمور الدنيوية.

الكلمات المفتاحية: التفكير العلمي، التفكير الخرافي، العقلية العلمية، التفكير السنني، المجال الدعوي.

Scientific Thinking And Its Applications In The Field Of Da`wah

Al-Said Shabaan Al-Desouky Ibrahim.
Department Of Da`wah And Islamic Culture, College Of Fundamentals Of Religion And Da`wah, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt, And College Of Sharia And Islamic Studies, Qassim University, Kingdom Of Saudi Arabia.
Email: drsaidrakha@gmail.com

Abstract:

The research aims to highlight the value of thinking, emphasize the interest of Islam in scientific thinking, and indicate its importance in all fields of life, especially in this era in which scientific illiteracy has spread, and superstitious thinking has prevailed on not a few sectors of the members of Arab and Islamic societies, and this was not limited to the simple. And the common people, but rather many educated people, and even some preachers who were dominated by illusions and superstitions, and therefore scientific thinking is no longer a luxury, rather it is the duty of the age and the duty of time, especially in the fields of Da`wah, education, upbringing, and the like. The study comes in three sections: The first: deals with the concept of thinking and its importance, and its types and patterns, and the second: deals with the concept of scientific thinking and Islam's care for it, and its characteristics, deducing Da`wah applications for each characteristic, and the third: deals with the methodological rules of scientific thinking, and shows how they can be employed in the field of Da`wah. The researcher concluded that scientific thinking is not limited to scientists alone, it is a purposeful and organized mental activity that includes scientists and others, as well as all kinds of religious and worldly sciences, as he concluded methodological rules on which scientific thinking is based, and can be employed in the field of Da`wah, including: building mentality Scientific studies, strengthening the culture of Sunni thinking, liberating the mind from fanaticism, rigidity, imitation and dependency, seeking useful knowledge with its controls, and adopting the principle of observation and experiment in worldly matters.

Keywords: Scientific Thinking, Superstitious Thinking, Scientific Mentality, Sunni Thinking And Field Of Da`wah.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن دعا بدعوتهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وبعد:

لا يخفى على متابع منصف أن الخطاب الدعوي المعاصر بحاجة ماسة إلى مراجعة مستمرة وتطوير شامل، حتى يواكب العصر ويلبي متطلبات المرحلة، وهو ما يتطلب الوقوف على أسباب الضعف، والتي من أهمها: العشوائية وغياب الروح العلمية، ولذلك فإن بداية التجديد الحقيقي للخطاب الدعوي تكمن في إرساء منهجية التفكير العلمي لدى الدعاة، حتى يتمكنوا من التعامل مع الأحداث والقضايا والظواهر الاجتماعية بعقلية علمية واعية؛ لذا رأيتُ أن الحاجة ماسة إلى الكتابة في هذا الموضوع، وذلك لعدة أسباب منها:

الأول: أن العلم اليوم هو المتحكم في مصائر الأمم ومستقبل الشعوب، وهو أداة الصراع في معركة الهيمنة وتنازع البقاء، وعليه فإن "التفكير العلمي" قد غدا هو موضوع الساعة وواجب الوقت.

الثاني: انتشار الأمية العلمية وغلبة التفكير الخرافي لدى قطاعات ليست بالقليلة من أفراد المجتمعات العربية والإسلامية، ولا يقتصر ذلك على البسطاء والعوام، وإنما يتعدى إلى كثير من المتعلمين، بل وبعض الدعاة الذين سيطرت عليهم الأوهام والخرافات، وتسللت الأحاديث الموضوعة والحكايات الغريبة التي تنافي الشرع وتجافي العقل إلى خطابهم بغية الإثارة ونيل إعجاب الجماهير.

الثالث: دخول التفكير العلمي إلى ميادين كثيرة، من أهمها: ميادين التربية، والتعليم، والإدارة، وقد آن الأوان للاستفادة من منهجية التفكير العلمي وتطبيقاته في المجال الدعوي.

مشكلة الدراسة: تبرز مشكلة الدراسة من خلال سؤال كبير هو: كيف يمكن الاستفادة من "التفكير العلمي" وتوظيفه في ميدان الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ؟ ولذلك فإن هذه الدراسة تهدف إلى ما يلي:

١- إبراز قيمة التفكير، وبيان أنواعه وأنماطه.

٢- التأكيد على عناية الإسلام بالتفكير العلمي، وبيان أهميته في كافة ميادين الحياة.

٣- التعرف على خصائص التفكير العلمي، واستنباط تطبيقاتها العملية في المجال الدعوي.

٤- استخلاص القواعد المنهجية للتفكير العلمي وتوظيفها في ميدان الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

الدراسات السابقة: لم أعثر على دراسات سابقة في موضوع توظيف التفكير العلمي في المجال الدعوي، رغم كثرة المؤلفات في قضية "التفكير العلمي"، غير أن أقرب الدراسات إلى دراستي ما يلي:

-الدراسة الأولى: رسالة دكتوراه (غير منشورة) للباحث/ نايف بن حامد همام الشريف، وعنوانها: (التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي)، وهي دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة ١٤١١هـ.

-الدراسة الثانية: رسالة دكتوراه (غير منشورة) للباحث/ خليل بن عبد الله الحدري، وعنوانها: (منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة)، وهي دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة ١٤٢٢هـ.

وهما دراستان قد تناولتا موضوع التفكير العلمي وتطبيقاته في مجال التربية والتعليم، ففي الدراسة الأولى ركز الباحث في قضية التفكير العلمي بين التفكير في الإسلام، وبين الفلاسفة القدامى من جهة، والفلسفات التربوية المعاصرة من جهة أخرى، أما الدراسة الثانية فهي دراسة تأصيلية تربوية تتناول منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم، وكيفية الاستفادة من تطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة، أما دراستي فهي تتناول منهجية التفكير العلمي وكيفية الاستفادة من تطبيقاتها في مجال الدعوة.

منهج البحث: اعتمد البحث على "المنهج الاستنباطي" أو "الاستنتاجي"، حيث تناول الباحث قضية التفكير العلمي بمسلماتها الكلية، مستنبطًا منها قواعد جزئية يمكن الاستفادة منها في مجال الدعوة.

خطة البحث: اشتمل البحث على: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

- **المقدمة: وقد تضمنت أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومشكلة الدراسة وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.**
- **المبحث الأول: التفكير فريضة وضرورة: وقد تناولتُ فيه مفهوم التفكير وأهميته، وأنواعه وأنماطه.**
- **المبحث الثاني: ضوء على التفكير العلمي: وقد تناولتُ فيه مفهوم التفكير العلمي وعناية الإسلام به، وخصائصه مستنبطًا التطبيقات الدعوية لكل خصيصة.**
- **المبحث الثالث: منهجية التفكير العلمي وتوظيفها في المجال الدعوي: وقد تناولتُ فيه القواعد المنهجية للتفكير العلمي، وبينتُ كيف يمكن توظيفها في المجال الدعوي.**
- **الخاتمة: وقد اشتملت على أبرز النتائج وأهم التوصيات.**

وأسأل الله أن ينفع بهذا العمل، وأن تكون هذه الدراسة بداية ونقطة انطلاق لسلسة أبحاث ودراسات تتناول موضوع "التفكير العلمي" وكيفية الاستفادة منه في كافة مناحي الحياة دعويًّا وثقافيًّا وتربويًّا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المبحث الأول
التفكير فريضة وضرورة

قبل الشروع في الحديث عن "التفكير العلمي وتطبيقاته في المجال الدعوي"، أرى من المناسب أن أمهد لذلك بمبحث عن "التفكير" بشكل عام، من حيث مدلوله، وأهميته، وأنماطه بشيءٍ من الإيجاز، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم التفكير في اللغة والاصطلاح

التفكير في اللغة: فعلُهُ فَكَرَ، الفاء والكاف والراء: تردُّد القلب في الشيء وإعمال الخاطر فيه. يقال: فَكَرَ في الأمر فَكْرًا: أعمل العقل فيه، والتفكُّر: التأمل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، والفِكر (بالكسر): تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، يقال: لي في الأمر فِكْر: نظر ورويَّة، والجمع: أفكار، والفِكْر: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، والفكرة: الصورة الذهنية لأمرٍ ما، والتفكير: إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها [(١)].

والمتأمل في هذه المعاني اللغوية يستنتج أن: التفكير هو نشاط للذهن، أو بعبارة أخرى إعمال العقل، وأن هذا النشاط العقلي أو الذهني ينبغي أن يكون هادفًا وموجهًا نحو غاية معينة، كمحاولة التوصل إلى حل مشكلة، أو اكتشاف أمر مجهول، أو لفهم ظاهرة معينة.

التفكير في الاصطلاح: شاع مفهوم "التفكير" وكثرت استخداماته، وتعددت تعريفات العلماء له، فكلٌّ يعرفه من زاويته الخاصة بحسب المجال العلمي الذي يتخصص فيه، مما انعكس على درجة وضوح هذا المفهوم، وفيما يلي عرض لبعض تعريفات "التفكير" على النحو التالي:

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٣٤٥١/٥، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ. تحقيق: عبد الله عليّ الكبير وآخرون، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٤٦/٤، دار الفكر، بيروت، الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. تحقيق: عبد السلام هارون، والمعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بمصر، ص٦٩٨، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الرابعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- التفكير – في أبسط تعريف له – عبارة عن: (ترتيب أمور في الذهن يُتوصَّل بها إلى مطلوب يكون علمًا أو ظنًّا) [١].
- وعرفه بعضهم بأنه: (نشاط فكري مصاحب للفرد حال مجابهته لمشكلة يصعب حلها والتغلب عليها، في ضوء خبراته ومعلوماته السابقة، بهدف الوصول إلى حل مناسب لهذه المشكلة) [٢].
- وعرفه آخرون بأنه: (عمل العقل الذي يقوم فيه بترتيب المفاهيم والتصورات في سبيل تحديد موقف معين أو اتخاذ قرار محدد تجاه قضية أو أمر أو مشكلة تواجهه) [٣]، وهذا التعريف هو الأقرب لموضوع الدراسة، فهو يصف سلسلة العمليات العقلية التي يلزم الداعية القيام بها لبناء تصور معين.

ومن خلال التعريفات الاصطلاحية للتفكير يلاحظ الآتي:

أولا: وجود ارتباط وتلازم كبير بين المعاني اللغوية والاصطلاحية للتفكير، فكلاهما يدور حول: التأمل وإعمال العقل وإنعام النظر في قضية أو ظاهرة؛ بغية فهمها وبناء تصور سليم للتعامل معها أو الحكم عليها.

ثانيًا: يرجع تعدد تعريفات التفكير وكثرتها إلى تباين منطلقاتها واختلاف زاوية النظر لدى المعرِّفين، فمنهم من ركز على وصف عملية التفكير باعتباره عملية فسيولوجية وبيولوجية، فراح يركز على طبيعة عملية التفكير وكيفية حدوثها، ومنهم من ركز على مجالات التفكير وميادينه، وركز آخرون على أنواع التفكير وأنماطه، وبالتالي جاءت تلك التعريفات – على كثرتها – متكاملة، وتؤدي محاولة الجمع بينها إلى بناء تصور شامل والوصول إلى مفهوم واضح لعملية التفكير.

ثالثًا: اتفقت تعريفات التفكير – على كثرتها وتنوعها – على عدة محاور منها: أن التفكير نشاط عقلي أو ذهني واعٍ وراقٍ يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، وأنه لا يبدأ من فراغ، بل يبدأ عند وجود مثير ما،

---

(١) المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ص ٤٧٩، دار المعارف، القاهرة، الثانية، بدون تاريخ. تحقيق: د. عبد العظيم الشناوي.

(٢) التفكير العلمي ودور المؤسسات التربوية في تنميته: د. محمد ماهر محمود الجمال، ص ١، دار الوفاء، المنصورة، مصر، طبعة ١٩٧٩م.

(٣) التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي: نايف حامد همام الشريف، ص ٢٥، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

كحدث، أو ظاهرة، أو موقف معين، وأنه عملية مرتبطة بما يختزنه الفرد من خبرات ماضية، وبإدراكه لحقائق حاضرهِ وتوقعاته لمتغيرات مستقبله، وأنه عملية منظمة ذات خطوات متسلسلة، تبدأ بالملاحظة، وأنه عملية هادفة، هدفها القريب حل مشكلات الحاضر، وهدفها البعيد تجنب تلك المشكلات مستقبلا [١]، ومما لا شك فيه أن هذا من صميم عمل الدعاة والمصلحين.

المطلب الثاني: التفكير فريضة شرعية وضرورة إنسانية

لقد خلق الله الإنسان وكرمه وميزه عن سائر المخلوقات بالعقل، ولذلك كانت قيمة العقل في الإسلام كبيرة ومنزلته عظيمة، فهو ((أُسُّ الفضائل، وينبوع الآداب، جعله الله للدين أصلا، وللدنيا عمادًا، فأوجب التكاليف بكماله، وجعل الدنيا مدبَّرةً بأحكامه)) [٢]. وما من شك في أن التفكير هو إحدى وظائف العقل، بل هو أبرز مهامه وجوهر نشاطه، ولذلك ((لم يُذكر العقل في القرآن بصيغة الاسم، بل جاء ذكره في كل الآيات التي تحدثت عنه بصيغة الفعل، مثل: يعقلون، وتعقلون، وما أشبه ذلك؛ إشارة إلى أن قيمة العقل تكمن في قيامه بعمليات التفكير المستمر والمثمر)) [٣]، وفي هذا ردٌّ على بعض المستشرقين الذين زعموا إغفال الإسلام لأهمية العقل استنادًا لعدم ذكره باسمه في القرآن الكريم؛ جاهلين أو متجاهلين أن وظائف العقل لا تتعلق بصيغة الاسم قدر تعلقها بعمل العقل وأثره الفعلي، ولذلك عاب القرآنُ الكريم على قومٍ امتلكوا أدوات السمع والبصر والفهم ولكنهم عطلوها فقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وذكر حسرتهم وندمهم وقد اختلطت أصوات صراخهم بصوت شهيق جهنم وفورانها قائلين: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:

---

(١) راجع بتصرف: التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم: عبد الوهاب محمود حنايشة، ص ١٣، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، سنة ٢٠٠٩م، والتفكير العلمي ودور المؤسسات التربوية في تنميته: د. محمد ماهر الجمال، ص١.

(٢) أدب الدنيا والدين: أبو الحسن الماوردي، ص ٦، ٧، دار اقرأ، بيروت، الرابعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. شرح وتعليق: محمد كريم راجح.

(٣) التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي: نايف الشريف، ص ٨.

١٠] أي: ((لو كنا نسمع سمع مَن يعي ويتفكر، أو نعقل عقل مَن يميِّز وينظر ما كنا من أهل النار)) [١].

التفكير فريضة شرعية وضرورة إنسانية: أما أنه فريضة شرعية فلكونه أساس الإيمان، ومناط الاستخلاف، وسر العمارة للكون والحياة، وهو ما أكد عليه أ. العقاد في كتابه "التفكير فريضة إسلامية"، مستمدًّا تلك الفرضية من ((التعويل على العقل في أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف، ولذلك لا يذكر القرآنُ الكريم العقلَ إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه)) [٢]، وقال – رحمه الله – بعد أن سرد عشرات الآيات التي تخاطب العقل الإنساني وتؤكد على أهمية التفكير: ((بهذه الآيات وما جرى مجراها تقررت ولا جرم فريضة التفكير في الإسلام، وتبين منها أن العقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأمور، وأنه هو العقل الذي يقابله الجمود والعنت والضلال، وليس العقل الذي قصاراه من الإدراك أنه يقابل الجنون، فإن الجنون يسقط التكليف في جميع الأديان والشرائع، ولكن الجمود والعنت والضلال غير مسقطة للتكليف في الإسلام)) [٣].

وعليه، فالتفكير فريضة باعتباره مناط المسؤولية والتكليف، وبه تتحقق إنسانية الإنسان وتميزه عن سائر المخلوقات، ولذلك جاء القرآن حافلا بالآيات التي تحث على التفكير وتقليب النظر في أحوال البشر والسابقين من الأمم بغرض التدبر والاعتبار، لدرجة أن مادة (فكر) وحدها تكررت في القرآن ثماني عشرة مرة [٤]، جُلُّها بصيغة المضارع (تتفكرون، ويتفكرون) لإفادة الحاجة إلى تجدد التفكير واستمراره، بل إن الله تبارك وتعالى يذكر أن القرآن ما نزل إلا لحث العقل الإنساني على التفكر. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وما أُفردت مساحة كبيرة في

(١) تفسير البغويّ: أبو محمد الحسين بن مسعود البغويّ ١٧٧/٨، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الرابعة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخران.

(٢) التفكير فريضة إسلامية: عباس محمود العقاد، ص ٥ باختصار، دار نهضة مصر، القاهرة، طبعة ٢٠١٤م.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨ باختصار.

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٢٥، دار الفكر، بيروت، الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

القرآن للقصص إلا لإثارة الفكر للنظر في أحوال السابقين والاعتبار بمصائر الغابرين، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، كما وجه القرآن الكريم إلى اتخاذ التفكير وسيلة لمعرفة ما في الكون من حقائق وسنن (أي قوانين) عليا تحكم حركة الكون والحياة، حتى يدركوا طبائع الأشياء، ولا يتصادموا مع سنن الله الثابتة التي لا تتغير ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٢].

وأما كون التفكير ضرورة إنسانية، فهو وسيلة العقل في فهم ما يدور حوله، ولذلك ((حاول الإنسان منذ بدء حياته على الأرض البحث عن تفسيرات للظواهر التي يلاحظها؛ مدفوعًا بغريزة حب الاستطلاع والرغبة في المعرفة، وكانت خبرته محدودة وتفكيره بسيطًا في البداية، ومع ذلك كان عليه أن يفسِّر الظواهر الغريبة حوله، أو يجد إجابات للأسئلة التي تواجهه، أو يجد حلولا للمشكلات الموجودة أمامه، إنه يريد أن يتكيف مع البيئة حوله، ولا يستطيع التكيف إلا إذا فهم هذه البيئة واطمأن إليها بحيث لم تعد مصدرًا لخوفه وعدم شعوره بالأمن)) [(١)]، ولذا أُطلق على الإنسان أنه "كائن مفكر"، فهو مطبوع على ممارسة التفكير بأنواعه المختلفة، ومن هنا كان التفكير ضرورة حيوية لا غنى للإنسان عنها، ومما اشتهر على الألسنة قول الفيلسوف الفرنسي (ديكارت): ((أنا أفكر إذن أنا موجود))، ((فهو بهذه العبارة الموجزة يجعل التفكير دليلا على الوجود، بل يكاد يحصر الوجود في التفكير، وكأنه يريد أن الذين عطلوا ملكات التفكير لديهم لا يوجد دليل على أنهم أحياء! وخاصية التفكير هي التي توجد ميزة التنوع بين البشر في المستويات العليا، وحين تُحرم أمة أو مجتمع أو فرد من هذه النعمة الجليلة فإن الحياة تصاب بالقحط والجدب، وهنا تبرز مكانة المفكرين في الأمم؛ حيث إن أبرز صفات المفكر أنه يمتلك رؤية نقدية شاملة ينقل من خلالها تناقضات مجتمعه والصعوبات التي يعاني منها إلى حسّ الناس وأعصابهم، فإذا ما حرمت أمة من هذا النمط من الرجال فإن أزماتها مرشحة للبقاء، ومشكلاتها معرضة للتجذر والتوسع)) [(٢)]، ولذلك لا أكون مبالغًا إذا قلتُ: إن التفكير هو محور قيام الحضارات وركيزة

---

(١) راجع بتصرف: البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه: د. ذوقان عبيدات، وآخران، ص ٣٠، دار الفكر المعاصر، القاهرة، الأولى ١٩٨٤م.

(٢) فصول في التفكير الموضوعي: د. عبد الكريم بكار، ص ١٨ وما بعدها، دار القلم، دمشق، السابعة ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

نهضتها، ذلك أن حضارة الأمم والمجتمعات لا تقاس إلا بما لديها من أفكار بناءة.

المطلب الثالث: أنواع التفكير وأنماطه

اهتم العلماء والباحثون بطرائق التفكير وأنواعه، واختلفوا في ذلك اختلافًا كثيرا، وبمطالعة أولية لأدبيات التفكير يلاحظ الباحث وجود أكثر من تصنيف لأنماط التفكير، ويعود ذلك إلى اختلاف الأهداف من دراسة عمليات التفكير، تبعًا لاختلاف اتجاهات الباحثين واهتماماتهم ومجالاتهم المعرفية والعلمية، فعلماء النفس يعددون أنواعًا للتفكير تتجاوز الخمسة عشر نوعًا، بينما يُقصِر الفلاسفة أنواع التفكير على خمسة أنواع فحسب، ويرى البعض الآخر أنها تتمثل في ثلاثة أنواع أساسية فقط، وما من شك في أن تعدد أنواع التفكير وكثرة تصنيفاته تعد دليلا على اهتمام العلماء والباحثين بدراسته.

ومن هذه التصنيفات: تقسيم التفكير باعتبار غايته والهدف منه إلى قسمين هما:

الأول: التفكير الحر غير الموجه نسبيًّا: ويطلق عليه البعض "التفكير الذاتي"، وهو تفكير يدور حول أشياء ليس لها وجود موضوعي، وإنما وجودها منحصر في خيال وأوهام الشخص، وهذا النوع من النشاط العقلي مجرد تعبير عن رغبات أو حاجات، ولذلك فهو أقرب إلى التخيل منه إلى التفكير، ومن ذلك: أحلام اليقظة ونحوها.

والثاني: التفكير الموجَّه: وهو الذي يهدف إلى حل مشكلة أو ابتكار شيءٍ نافع [١].

وصنَّف آخرون التفكير باعتبار قيمته وجدواه إلى:

أ- تفكير إيجابي: ويشمل كل الأنواع التي تستند إلى مبادئ منطقية وضوابط علمية، مثل: القياس، والتجريب، والموضوعية، والابتكار، والتجديد.

ب- تفكير سلبي: ويشمل كل الأنواع التي تستند إلى الأحكام الذاتية، وسيطرة العاطفة، والتعصب، والتأثر بالأوهام والخيالات، وعدم الدقة والتحديد، وعدم الوضوح [٢].

---

(١) التفكير والبحث العلمي: د. محمد بكر نوفل، ود. فريال محمد أبو عواد، ص ٢٨، ٢٩، دار المسيرة، عمان، الأردن، الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، وراجع: التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي: نايف الشريف، ص ٤٥.

(٢) التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي: نايف الشريف، ص ٥٢.

ووضع آخرون أنماطًا أخرى للتفكير على أساس من الأزواج المتناظرة، وذلك على النحو التالي:

أولا: التفكير المادي مقابل التفكير المجرد: فالتفكير المادي هو ذلك النوع الذي يعتمد على الملاحظات المحسوسة والمشاهدة والتجربة والممارسة، ويطلق عليه "التفكير العياني" أو "التجريبي"، أما التفكير المجرد فيتمثل في القدرة الذهنية التي تمكن الفرد من حل المشكلات المعقدة، ويعتمد على العمليات العقلية المجردة للأفكار والمفاهيم والقيم والمبادئ النظرية.

ثانيًا: التفكير الاستدلالي مقابل التفكير الحدسي: فالتفكير الاستدلالي يقوم على إقامة الدليل، ويتضمن: "الاستنباط" وهو انتقال الحكم من العام إلى الخاص، و"الاستقراء" وهو انتقال الحكم من الخاص إلى العام، أما التفكير الحدسي فيتمثل – في رأي بعض علماء النفس – في تلك العملية التي يصل بها المرء إلى استنتاج معين بالبديهة، أو على أساس مقدار ضئيل من المعلومات لا يوصِّل إلى اليقين.

ثالثًا: التفكير البسيط مقابل التفكير المعقد: ففي بعض الأحيان يقوم الفرد بعمليات ذهنية بسيطة، كالتذكر والاسترجاع، وفي حالات أخرى يقوم بعمليات مركبة تتضمن مجموعة من العمليات الذهنية المعقدة.

رابعًا: التفكير المنطقي مقابل التفكير الخرافي: فالتفكير المنطقي يتميز بأنه تفكير سليم مرن، يساعد الفرد على الانتقال من فكرة إلى أخرى واستنتاج القواعد بطريقة منطقية، بخلاف التفكير الخرافي فيتصف به أولئك الذين لا يُخضعون الأحداث لمنطق العقل الذي يأبى التناقض، ولا يردون الظواهر الطبيعية إلى ظواهر من نفس العالم الطبيعي، بل يفترضون لها عللا من نسج خيالاتهم، ويسميه البعض "التفكير الأسطوري"، وأساسه المنطق العاطفي والانفعالية التي تقوم على الأحاسيس والمشاعر، مما يجعل الفرد لا يرتقي إلى تحكيم عقله عند التمييز بين الصواب والخطأ [١].

والبحث لا يتسع للاستطراد في أنواع التفكير وأنماطه، ومع ذلك تجدر الإشارة إلى بعض أنماط التفكير السائدة في ثقافتنا وثقافة كثير من المجتمعات

---

(١) راجع: التفكير والبحث العلمي: د. محمد نوفل، ص ٣١، ٣٢، والتربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي: نايف الشريف، ص ٥٢، ٥٣، والتفكير العلمي ودور المؤسسات التربوية في تنميته: د. محمد ماهر الجمال، ص ٤، ٥.

النامية، تلك التي أشار إليها شيخ التربويين المصريين د. حامد عمار في دراسة له بعنوان: "العلم هدفًا ووسيلة للتغيير" [١]، ومن هذه الأنماط:

١- التفكير من خلال الأسطورة: ويتجلى هذا النمط من التفكير في مواقف عديدة بأشكال متنوعة في ثقافتنا السائدة، ويشيع بصورة خاصة في فترات الأزمات والإحباط لدى الفرد أو الجماعة.

٢- التفكير من خلال الفروسية: ويقوم على أساس تضخيم الذات كما في الملاحم والسير الشعبية، وهو تفكير لا يأخذ بالأسباب والوسائل المتكافئة مع المخاطر والتحديات والمشكلات، حيث تستبطن الفروسية في دعاواها التهوين والتصغير والتقليل من معطيات الواقع وتحدياته.

٣- التفكير من خلال الخوارق: ويعني أن مسيرة الحياة قد تحكمها ظواهر خارقة لا تخضع لنواميس الطبيعة أو قدرات البشر العادية أو أنساق الحياة المألوفة.

٤- التفكير من خلال البطل: وقد استشرى هذا النمط في ثقافتنا المعاصرة، وفي التوجه نحو إنقاذ المصير، وغدا التفكير من خلال البطل سمة مميزة لتفعيل الأحداث وتفسيرها وتوقعها، كأنما البطل هو صانع التاريخ وإليه يرجع الأمر كله، ويكاد وجوده يعفي بقية البشر من تحمل المسؤولية.

٥- التفكير من خلال المنفعة الخاصة: حيث تتحكم مصلحة الشخص وموقعه وطموحاته حاضرًا ومستقبلا في الحكم أو الموقف أو المشورة.

٦- التفكير من خلال الإسقاط على الخارج: وفي هذا النمط يسعى الفرد أو المجتمع إلى عدم الاعتراف بواقع أحواله، وبما تحقق من فشل أو قصور في إنجاز عمل من الأعمال، وتبريره بعوامل خارجية أو إلى متغيرات اقتصادية أو سياسية غير متوقعة على النطاق المجتمعي.

٧- التفكير من خلال الرومانسية: ويستمد هذا النمط منطقه من أمجاد الماضي وانتصاراته ومنجزاته الحضارية الحقيقية والمتوهمة.

٨- التفكير من خلال الهرب من المواجهة الصريحة للأوضاع: ويتخذ الهرب هنا صورًا مختلفة منها: تجميل الواقع وإبرازه في صورة أفضل مما هو عليه.

---

(١) أصل هذه الدراسة محاضرة ألقيت في المؤتمر السنوي الثالث (إرادة التغيير في التربية وإدارته في الوطن العربي)، إشراف: الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، وكلية التربية – جامعة عين شمس، القاهرة، يناير ١٩٩٥م، المجلد الأول، ص ١٦ وما بعدها.

٩- التفكير من خلال الزمن: ويتجسد هذا النمط في بعض الأحيان في عدم حسم الأمور، من منطلق أن المسألة سوف تحل نفسها، أو يتم تجاهلها أو نسيانها مع مرور الوقت.

والمتأمل في هذه الأنماط السابقة يلاحظ الآتي:

أولا: أنها تجافي "التفكير العلمي" الذي يرصد الظواهر والمشكلات رصدًا دقيقًا، ويعمل على مواجهتها دون تهويل أو تهوين، ويسعى لعلاجها بأساليب علمية موضوعية.

ثانيًا: لكل نمط من الأنماط سالفة الذكر مظاهر واضحة في واقعنا الثقافي بشكل عام، وفي خطابنا الدعوي بشكل خاص، فلا يزال بعض الدعاة وهو يرصد واقع المسلمين المعاصر يقف بالمخاطبين عند أمجاد الماضي، ومنهم من يدعو بالخسف والمسخ على أعداء الإسلام طيلة الوقت، مصورًا للناس أن كل ما يحدث للمسلمين هو نتاج مؤامرة كونية دون توجيه أنظار المخاطبين إلى ضرورة الأخذ بأسباب النهوض، ومنهم من يرسخ في وجدان المخاطبين ثقافة "المخلِّص المنتظر" لإعادة الأمجاد وتحرير المقدسات وحده، ومنهم من ينادي بالويل والثبور وعظائم الأمور مقنطًا الناس من رحمة الله، ومنهم من يجمِّل الواقع ويبرزه في صورة أفضل مما هو عليه، وبين هؤلاء وهؤلاء يضيع نمط التفكير العلمي المتوازن، الذي يحسن قراءة الواقع، ويبث في الناس الأمل، ويدفعهم إلى البناء والعمل، متخذًا من أمجاد الماضي حافزًا ودافعًا لإصلاح الحاضر والعبور إلى المستقبل.

فما هو التفكير العلمي؟ وما أهميته؟ وما أهم سماته وخصائصه، وهل يمكن تطبيقه والاستفادة منه في المجال الدعوي؟ هذا ما ستأتي الإجابة عليه في المباحث القادمة بمشيئة الله تعالى.

المبحث الثاني
ضوء على التفكير العلمي

بعد الحديث عن التفكير بمعناه العام، مدلوله وأهميته وأنواعه وأنماطه، أتحدث عن "التفكير العلمي"، مفهومه، ومدى الحاجة إليه في واقعنا المعاصر

بشكل عام، وفي خطابنا الدعوي على وجه الخصوص، وخصائصه، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم التفكير العلمي

"التفكير العلمي" مصطلح مكون من جزئين، وحتى يمكن التعرف على مدلوله، لا بد من تعريف جزئيه أولا، وقد سبق تعريف التفكير، وبقي تعريف "العلم"، حتى يسهل التعرف على ماهية "التفكير العلمي" وإدراك المقصود به في هذه الدراسة.

تعريف العلم في اللغة والاصطلاح:

العلم في اللغة: نقيض الجهل، وفعلُهُ (عَلِمَ): العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، وسمي العلم علمًا لأنه من العلامة، وهي الدلالة والأمارة، ويطلق العلم في معاجم اللغة العربية على عدة معانٍ منها: المعرفة، واليقين، وإدراك الشيء بحقيقته [(١)].

وأما فيِ الاصطلاح، فرغم شيوع لفظ "العلم" وانتشاره على الألسنة، فهو من أكثر المصطلحات التي تباينت الآراء في تعريفه تباينًا شديدًا، فقد اختلف تعريف الناس له قديمًا وحديثًا.

أما اختلافهم قديمًا، فقد عدَلَ فريقٌ عن تعريف "العلم"؛ اعتقادًا منهم بأن المصطلح واضح ولا يحتاج إلى مزيد شرح أو بيان، والمطالع لكتاب العلم في (الجامع الصحيح) يجد أن الإمام البخاري قَد بدأ الكتاب بالحديث عن فضل العلم مباشرة، ولم يقف عند مسألة التعريف، وعلق على ذلك القاضي أبو بكر بن العربي قائلا: ((بدأ المصنف بالنظر في فضل العلم قبل النظر في حقيقته، وذلك لاعتقاده أنه في نهاية الوضوح، فلا يحتاج إلى تعريف)) ، وقد أنكر ابن العربي على من تصدى لتعريف العلم وقال: ((هو أبين من أن يُبيَّن)) [(٢)]، بينما ذهب الأصوليون إلى ضرورة تعريف العلم ووضع حدود له، ووضعوا تعريفات شتى من أشهرها: تعريف العلم بأنه: ((الاعتقاد الجازم الثابت

---

(١) راجع: لسان العرب لابن منظور ٣٠٨٣/٤، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٠٩/٤، والمخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده ٢٥٨/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦. تحقيق: خليل إبراهيم جفال.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: الحافظ ابن حجر العسقلاني ١٤٠/١، ١٤١، دار المعرفة، بيروت، الأولى ١٣٧٩هـ. عناية: عبد العزيز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب.

المطابق للواقع)) [١]، وتعريفه بأنه: ((صفة ينكشف بها المطلوب انكشافًا تامًّا)) [٢].

وأما في العصر الحديث فقد ظهر تباين واضح في مدلول كلمة "العلم" بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، حيث تؤكد تعريفات "العلم" في الثقافة الإسلامية على شمول معنى العلم في الإسلام، وأنه ((ليس خاصًّا بعلم الشرائع والأحكام فحسب، وإنما يراد به كل معرفة تنكشف بها حقائق الأشياء، وكل إدراك يفيد الإنسان توفيقًا في القيام بمهمته العظمى التي ألقيت على كاهله منذ قُدِّر خلقه، وجُعل خليفة في الأرض، سواء أكان موضوع ذلك الكون والطبيعة، أم موضوعه الإنسان، أم موضوعه الوجود والغيب، وسواء أكانت وسيلة معرفته الحس والتجربة، أم العقل والبرهان، أم الوحي والنبوة)) [٣]، أما في الثقافة الغربية فقد خصصت كلمة (Science) للعلوم الرياضية والطبيعية، ثم أدخل في مدلولها كل علم يقبل موضوعه الخضوع للتجربة والاستقراء والمقاييس الكمية، وهكذا صار مصطلح العلم في الفكر الغربي الحديث لا يكاد يطلق سوى على العلم التجريبي، والقائم على الملاحظة والتجربة الحسية، وهو تصنيف قائم على فكرة من الخطورة التسليم بها، وهي حصر صفة اليقين بالعلوم الرياضية والتجريبية، ونفيها بالتالي عما سواها [٤].

وأخلص من هذه التعريفات وغيرها إلى تعريفين أظنهما الأقرب إلى موضوع الدراسة، أما الأول: فهو تعريف العلم بأنه: (مجموعة الخبرات الإنسانية التي تجعل الإنسان قادرًا على الفهم) [٥]، والفهم هو الذي يجعل الإنسان قادرًا على رصد الظواهر ومعرفة أسبابها وآثارها والقدرة على التعامل معها.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للعلامة المناوي، ص ٥٢٣، دار الفكر المعاصر، بيروت، الأولى ١٤١٠هـ. تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ٦٤/١، دار الفضيلة، الرياض، الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. تحقيق: سامي الأثري.

(٣) أثر السنة النبوية في تكوين العقلية العلمية: د. أحمد قوشتي عبد الرحيم، ص ٥٣، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، بدون دار نشر.

(٤) راجع بتوسع: الإسلام والفكر العلمي: محمد المبارك، ص ١٦ وما بعدها، دار الفكر، بيروت، الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(٥) مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام: د. أحمد سليم سعيدان، ص ١٤، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد (١٣١)، سنة ١٩٨٨م.

وأما الثاني: فيقرر أن مصطلح العلم يراد به: (كل معرفة صحيحة مبنية على الحجة والبرهان) [١]، وقيدت المعرفة بالصحة احترازًا عن الأوهام والأساطير وغيرها مما يظنه البعض علمًا وهو ليس كذلك.

تعريف التفكير العلمي: تعددت تعريفات العلماء للتفكير العلمي كمصطلح مركب، وسوف أختار منها ما أراه مناسبًا لموضوع البحث على النحو التالي:

١- عرفه د. فؤاد زكريا بقوله: (هو طريقة في النظر إلى الأمور تعتمد أساسًا على العقل والبرهان المقنع – بالتجربة أو بالدليل –) [٢].

٢-وعرفه بعض التربويين تعريفًا إجرائيًّا فقال: (هو كل نشاط عقلي هادف مَرِن يتصرف بشكل منظم في محاولة لحل المشكلات، ودراسة وتفسير الظواهر المختلفة، والتنبؤ بها والحكم عليها باستخدام منهج معين يتناولها بالملاحظة الدقيقة والتحليل، وقد يخضعها للتجريب في محاولة للتوصل إلى قوانين ونظريات) [٣].

٣- وعرفه آخرون بأنه: (إعمال العقل من أجل اكتشاف حقيقة مجهولة، أو البرهنة على علي حقيقة موجودة، مما يتعلق بأمور الدنيا أو الآخرة، في خطوات علمية، منطقية، مقصودة، منظمة، مدروسة، محاطة بالتوجيه الرباني في قواعد كلية، أو إجراءات تفصيلية، سواء كان مجال هذا النوع من التفكير هو العلوم الشرعية أم الإنسانية أم الطبيعية) [٤].

ومن خلال التعريفات السابقة للتفكير العلمي يمكن استنتاج الآتي:

أولا: ارتباط التعريفات الاصطلاحية للتفكير العلمي بالمعاني اللغوية لكل من "التفكير" و"العلم": فمن خلال التعريف اللغوي للكلمتين يمكن القول بأن التفكير العلمي يراد به: التفكير القائم على المعرفة، واليقين، والتجربة

---

(١) أثر السنة النبوية في تكوين العقلية العلمية: د. أحمد قوشتي، ص ٥٣.

(٢) التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ١١، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (٣)، سنة ١٩٧٨م.

(٣) الجامعة والتدريس الجامعي: د. علي راشد، ص ٢٥٦، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، الأولى ١٤٠٨هـ.

(٤) منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة: خليل بن عبد الله الحدري، ص ٢٥، ٢٦، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة ١٤٢٢هـ.

والمشاهدة، وإعمال العقل، وإدراك الأمور بحقيقتها، بخلاف التفكير القائم على الظن والأوهام والشكوك، فضلًا عن الأكاذيب والخرافات والأساطير.

ثانيًا: التفكير العلمي ليس حكرًا على العلوم التطبيقية ولا على القضايا التجريبية: فالدارس لمصطلح "التفكير العلمي" وتطوره الدلالي في العصر الحديث، يجد أنه لم يسلم من لوثة التأثر بالنظرة الغربية لمصطلح "العلم" التي أصابت كثيرًا من الباحثين المعاصرين، فهم يصرحون بأن التفكير العلمي ((يُنسب إلى المشتغلين بالعلم الطبيعي، ويراد بالعلم الطبيعي كل دراسة تصطنع منهج الملاحظة الحسية والتجربة العملية، وتستهدف وضع قوانين لتفسيرها)) [(١)]، وبالتالي فهم يقصرون التفكير العلمي على العلوم التي تقوم على المنهج التجريبي، حتى أصبح المنهج العلمي للتفكير قاصرًا على جزء من المعرفة البشرية لا يتجاوزها إلى غيرها.

والحق أن التفكير العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية أشمل وأعم من أن يحصر في جانب واحد من جوانب المعرفة، وإنما هو طريقة في التفكير تقوم على منهجية علمية منظمة، يمكن تطبيقها في كافة المجلات النظرية والتطبيقية، ومقتضى هذه الطريقة: عدم قبول أي فكرة إلا إذا قام عليها دليل يبرهن على موثوقيتها، ويتم ذلك وفق منظومة من النشاطات العقلية تبدأ بالتروي والتثبت، مرورًا بالنقد والتأمل، وصولا إلى تفسير مناسب للمواقف والأحداث يرقى إلى درجة اليقين، وبالتالي فهو طريقة في التفكير تمكن الدعاة والمصلحين والتربويين ونحوهم من التعامل الصحيح مع المواقف التي تدور حولهم، بحيث تكون إدارتهم للمواقف والأحداث بطريقة علمية، وليست مجرد ردود أفعال غير محسوبة.

ثالثًا: التفكير العلمي ليس حكرًا على العلماء وحدهم: فالتفكير العلمي الذي أعنيه في هذه الدراسة ((هو ذلك النوع من التفكير المنظم الذي يمكن أن نستخدمه في شؤون حياتنا اليومية، أو في النشاط الذي نبذله حين نمارس أعمالنا المهنية المعتادة، أو في علاقاتنا مع الناس ومع العالم المحيط بنا، وهو طريقة يمكن أن تتوافر لدى شخص لم يكتسب تدريبًا خاصًّا في أي فرعٍ

---

(١) في تراثنا العربي الإسلامي: د. توفيق الطويل، ص ٨ باختصار، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (٨٧)، سنة ١٩٨٥م.

بعينه من فروع العلم، كما يمكن أن يفتقر إليها أشخاص توافر لهم من المعارف العلمية حظٌّ كبير)) [١].

وبالتالي فأنا أعني بالتفكير العلمي في هذه الدراسة: المفهوم الواسع والشامل للطريقة العلمية في التفكير، والعقلية العلمية التي لا يستأثر بها العلماء وحدهم، بل يمكن أن يتصف بها الإنسان العادي، وواجب الدعاة أن يتعلموا طريقة التفكير العلمي ويعلموها للناس حتى يكون المنهج العلمي أسلوب حياة ((يعتمد عليه أي إنسان يحاول الوصول إلى حقيقة واقعية، أو اتخاذ قرار سليم يتم فيه إعمال العقل والفكر لحل مشكلةٍ ما، فيتأمل المشكلة بتأنٍّ ورويَّة، ويقلِّبها على جميع جوانبها ليتعرف أبعادها ويتعايش معها، وكأنه يحاورها، ويدرس كل الاحتمالات الممكنة بواقعها الحقيقي، ويدرس النتائج المحتملة ويقيِّمها بعلم وحيادية، ويقدِّر الآثار السلبية المحتمل حدوثها، وكيفية معالجتها، وهو في ذلك كله يرتكن إلى العقل على أسس علمية بعيدة عن الخرافات والدجل والشعوذة، والتعلق بأوهام واهية)) [٢].

والخلاصة: أن كل إنسان لديه القدرة على جعل تفكيره علميًّا إذا اتسم بما يجعله أهلا لتلك الصفة، والتزم بصفات وأخلاقيات المنهج العلمي في جميع مواقف حياته، وفي سلوكه الاجتماعي والعلمي والفكري، ذلك أن التفكير العلمي هو نشاط عقلي هادف ومنظم يشمل العلماء وغيرهم، كما يشمل كافة أنواع العلوم، إذا التزمت المنهجية الصحيحة لكل مجال من مجالات العلوم.

المطلب الثاني: عناية الإسلام بالتفكير العلمي

التفكير بشكل عام هو نشاط عقلي ذو قيمة، وتعظم قيمته حين يستند إلى معايير وضوابط تجعله تفكيرًا علميًّا، فهو يعدل في أهميته وقيمته أهمية العقل وقيمته بين سائر أعضاء الجسد، فالإنسان بلا عقل يصير كتلة تتحرك بلا وعي، والحياة بلا تفكير علمي تصير مرتعًا للتخبط والعشوائية والارتجال والخرافة، ومن هنا فقد عني الإسلام بالتفكير العلمي أشد العناية، وقد اتخذت تلك العناية بالتفكير العلمي في الإسلام مظاهر عدة نظريًّا وعمليًّا: أما عن الجانب النظري: فالمتأمل في آيات القرآن الكريم وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم يجد عشرات النصوص الداعية إلى التفكير بطريقة علمية تتعبد

---

(١) التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ٥، وراجع له أيضًا: ص ١١.

(٢) التفكير العلمي وصناعة المعرفة: د. علي حبيش، ود. حافظ شمس الدين عبد الوهاب، ص ٦، سلسلة مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠١٥م.

بالفكر وترفض الخرافة، وقد جاء وصف المؤمنين في القرآن بأنهم (أولو الألباب) أي: أصحاب العقول النيرة التي استدلوا بها على الحق فاتبعوه، وعرفوا بها الباطل فاجتنبوه، والله تعالى يقول: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾[البقرة: ٢١٩-٢٢٠] ((أي: في الآيات، فتستنبطوا الأحكام منها، وتفهموا المصالح والمنافع المنوطة بها، وبهذا التقدير حسُن كون ترجي التفكر غاية لتبيين الآيات في الدنيا والآخرة، أي في أمورهما، فتأخذون بالأصلح منهما، وتجتنبون ما يضركم ولا ينفعكم، أو يضركم أكثر مما ينفعكم)) [١]، وهو ما يؤكد شمول التفكير العلمي في الإسلام، بحيث تتكامل فيه الجوانب المادية والمعنوية، والمعرفة الحسية والعقلية، وتتحقق مصالح العباد في العاجل والآجل.

إن دعوة الإسلام إلى التفكير العلمي وعنايته بالروح العلمية ((لهي دعوة صريحة إلى التفكير المنهجي الذي يتجاوز العشوائية والعبثية، وهي قمة تكريم الإنسان الذي لم يخلق عبثًا، فالإنقاذ الحقيقي يبدأ من تكريم الإنسان المفكر حين يبحث عن أسرار الكون، وهو مأمور بذلك مكانًا وزمانًا، وعليه البحث عن مصادر المعرفة)) [٢]، وقد قضت السنة النبوية بفرضية ذلك الواجب على كل مسلم [٣].

وأما عن الجانب العملي: ((فقد عرف المسلمون المنهج العلمي مع نزول القرآن الكريم، وحثه على النظر والتأمل، ودعوته إلى البرهان والدليل، ومحاورته لأهل الكتاب وعبدة الأوثان، وأمره بالتعرف على العلل والأسباب، وغيرها من التوجيهات التي استفاد منها المسلمون، وصاغوا قواعد البحث العلمي المنظم في جميع المجالات، ما كان منها في مجال التوثيق للأخبار

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي ١١٦/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

(٢) منهجية البحث الأدبي ومداخل التفكير العلمي: د. عبد الله التطاوي، ص ١٦ باختصار وتصرف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٣) إشارة إلى حديث: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)، أخرجه ابن ماجة في افتتاح الكتاب، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٤)، وقال السيوطي: ((سئل الشيخ محيي الدين النووي – رحمه الله تعالى – عن هذا الحديث فقال: إنه ضعيف، أي: سندًا، وإن كان صحيحًا، أي: معنى، وقال تلميذه جمال الدين المزي: هذا الحديث روي من طرق تبلغ مرتبة الحسن، وهو كما قال)).

والمرويات، وما كان منها في مجال القضايا والأحكام، وما كان في مجال علوم الكون والإنسان وسنة الله في الأنفس والآفاق، وكان لهم فضل السبق والريادة في تأسيس المناهج العلمية في البحث، وفي تطبيقاتها في المجالات المعرفية المختلفة مع التناسب بين المنهج والمجال المعرفي المستخدم فيه، ومع مراعاة حدود العقل وإمكانياته)) [١]، وقد أثمرت تلك المناهج وقواعدها التطبيقية العديد من العلوم، أذكر منها:

١- علم مصطلح الحديث: فهو من أبرز العلوم التي تجلت فيها سمات عبقرية العقلية المنهجية الإسلامية في أبهى تطبيقاتها، وهو ما شهد به العديد من الكتاب الغربيين، فقد انبرى علماء المسلمين لجمع الأحاديث وتدقيق أسانيدها، ووضعوا لذلك قواعد استفاد منها علماء اللغة والأدب والتاريخ وغيرهم، وقد تميز منهج المحدثين في نقد المرويات بأنه ((منهج تاريخي نقدي، أي أنه منهج لا يسلِّم بالنص دون محاكمة أو نقد، ولا يكفي أن يصدر النص عن عالم أو شخص له احترامه حتى يقبل، بل لا بد أن تثبت نسبة النص إلى قائله، وأن ينظر فيه نظرة ثاقبة فاحصة لمعرفة اتفاقه مع الأسس الثابتة والمبادئ العامة، ولقد غاب هذا المنهج التاريخي النقدي عن التوراة والإنجيل، وغاب عن سائر التواريخ قبل الإسلام، ثم جاء الإسلام ليمنح العالم أجمع هذا المنهج القائم على البحث والاستقصاء والتفكير السليم، وقد جعل "شارل جنيبر"[٢] منهج النقد التاريخي مقابلا للمنهج الإيماني النصراني الذي يأخذ الروايات عن السابقين دون مناقشة ومحاكمة))[٣].

---

(١) منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام: د. حلمي عبد المنعم صابر، ص ١٥ بتصرف يسير، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد (١٨٣)، سنة ١٤١٨هـ.

(٢) شارل جنيبر (Charles Guignebert): نشأ في بيئة مسيحية كاثوليكية متعصبة، وتعلم في المدارس الفرنسية، وتخصص في تاريخ الأديان على وجه العموم، وتعمق في المسيحية حتى أصبحت تخصصه الدقيق، وأخذ يرتقي في المناصب الجامعية شيئًا فشيئًا حتى وصل إلى أستاذ تاريخ المسيحية في جامعة باريس، وله عدة مؤلفات عن المسيحية من أشهرها كتاب: (المسيحية نشأتها وتطورها) الذي قام بترجمته د. عبد الحليم محمود رحمه الله. راجع مقدمة كتاب: المسيحية نشأتها وتطورها، ص ٦، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، بدون تاريخ.

(٣) الفكر المنهجي عند المحدثين: د. همام عبد الرحيم سعيد، ص ٢٤، ٢٥، سلسلة كتاب الأمة، قطر، الأولى ١٤٠٨هـ، العدد (١٦).

٢- علم أصول الفقه: وهو العلم الذي يتخذ من الأصول والقواعد طريقًا له إلى استنباط الأحكام الشرعية الفقهية، في منهجية علمية منضبطة، تراعي الثوابت وتبدع في التعامل مع المتغيرات، فتكون نتائجه منضبطة مقنعة؛ لكونها تستند إلى العقل والنقل معًا، وهو ما أكده الإمام أبو حامد الغزالي وهو يتحدث عن فضل هذا العلم، فذكر أنه العلم الذي ((ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع، فإنه يأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول، بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد)) [١].

وقد تميز منهج الأصوليين بتلك القواعد الأصولية والفقهية التي هي ثمرة استقراء نصوص الكتاب والسنة، فقد صيغت في هيئة قواعد كلية يندرج تحتها كل جديد في مختلف جوانب الحياة، وما من شك في أن العلم الذي يهتم بالقواعد التي تقيد الشوارد، وتضبط عملية الفهم والقياس، وتلحق الفرع بالأصل، والجزء بالكل، وتستوعب كل جديد يقع في حياة الناس لهو العلم الذي يحرك الذهن، ويثير الفكر، فيضبط للفقيه ملكة الاستنباط، التي تعد ضربًا من منهجية التفكير العلمي التي دعا إليها الإسلام[٢].

٣- العلوم الطبيعية: وهي علوم تتعلق بتيسير أمور الناس أي جعلها تسير بشكل أفضل، وهي ملكية عامة مشتركة بين الأمم والشعوب، يستفيد فيها الآخر من الأول، ويبني فيها المتأخر على ما وصل إليه المتقدم، وهي علوم تقوم على التجربة والملاحظة والمشاهدة، ومعلوم أن علماء المسلمين الأقدمين هم الذين اكتشفوا المنهج التجريبي وجعلوه أساسًا للبحث والتفكير العلمي. يقول د. أحمد فؤاد باشا: ((ومن يتتبع إنجازات الحضارة الإسلامية في مجال العلوم الطبيعية سيجد أنهم فطنوا إلى سر تقدم المعرفة بعثورهم على المنهج العلمي التجريبي الذي اصطنعوه أساسًا للبحث والتفكير العلمي، فكان أعظم هدية قدمتها الحضارة الإسلامية لتاريخ البشرية كلها)) [٣]، وهذه هي

---

(١) المستصفى من علم الأصول: أبو حامد الغزالي ١/٤، شركة المدينة، جدة، السعودية. تحقيق: جمزة بن زهير حافظ.

(٢) راجع بتوسع: منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة: خليل الحدري، ص٦٨ وما بعدها.

(٣) فلسفة العلوم بنظرة إسلامية: د. أحمد فؤاد باشا، ص ٩٩، دار المعارف، مصر، الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

الحقيقة التي اعترف بها الأوروبيون أنفسهم، فقد أثبتت دراسات عدة أن المنهج العلمي الذي أذاعه ونشره في كل أنحاء أوروبا "روجر بيكون" وسميه المشهور "فرانسيس بيكون"[١] يرجع إلى أصل إسلامي، فقد أكدت حقائق التاريخ سبق علماء الإسلام إلى ممارسة المنهج التجريبي قبل بيكون وجون ستيوارت مل[٢] بعدة قرون، هذه الحقيقة يؤكدها العالم الإنجليزي الكبير "روبرت بريفولت" في كتابه "بناة الإنسانية" بقوله: ((إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس، وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي، فلم يكن روجر بيكون إلا رسول من رسل العلم والمنهج الإسلاميَّين إلى أوروبا المسيحية، وهو لم يملّ قط من التصريح بأن تعلم معاصريه اللغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة))[٣]، وكانت ثمرة اكتشاف علماء المسلمين للمنهج التجريبي تفوقًا كبيرًا ونبوغًا واضحًا في مجال العلوم الطبيعية، من طب، وصيدلة، ورياضيات، وفلك، وفيزياء، .. إلخ.

ومما سبق يتبين أن الإسلام قد احتفى بالتفكير العلمي وحث عليه، وظهرت آثار تلك الحفاوة واضحة في النهضة العلمية التي تميزت بها الحضارة الإسلامية، وامتد شعاعها شرقًا وغربًا، حتى كان لها عظيم الأثر على أوروبا في نهضتها المعاصرة، ودار الدهر دورته، وتأخر المسلمون وسبق غيرهم لأسباب عديدة، من أهمها: غياب المنهج العلمي وضعف الروح العلمية، الأمر الذي يفرض على المسلمين عامة والدعاة خاصة أن يولوا قضية التفكير العلمي عناية فائقة تقوم على احترام أسلوب التفكير العلمي والأخذ به في كافة

---

(١) روجر بيكون (Roger Bacon) وفرانسيس بيكون (Francis Bacon) كلاهما عالمان وفيلسوفان إنجليزيان، ومن أبرز ما قاما به أنهما نفذا إلى ماهية العلم الاستقرائي وأفاضا في شرح طرقه التجريبية، ووضعا قوانين المنهج العلمي. راجع: موسوعة الفلسفة والفلاسفة: عبد المنعم الحفني ١/٣٧١، مكتبة مدبولي، القاهرة، الثانية ١٩٩٩م، وغيره.

(٢) جون ستيوارت مل (John Stuart Mill) فيلسوف إنجليزي، برز في المنطق ومناهج البحث العلمي. راجع: موسوعة الفلسفة: د. عبد الرحمن بدوي ٢/ ٤٦٦، ٤٦٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الأولى ١٩٨٤م.

(٣) العلم في منظوره الإسلامي: د. صلاح الدين بسيوني رسلان، ص ٦٤، ٦٥، دار الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٨٩م.

المجالات والأنشطة الحياتية، بحيث يتحول الأمر من مجرد الكلام النظري إلى واقع عملي يطبق في كافة المؤسسات في بلادنا العربية والإسلامية.

المطلب الثالث: خصائص التفكير العلمي

يمثل التفكير العلمي جانبًا مهمًّا وحيويًّا من جوانب النشاط الفكري للإنسان، في تفاعله مع السنن الكونية، والمواقف والأحداث اليومية، وسائر المشكلات الحياتية، ولذا فقد توافر للتفكير العلمي من الخصائص والسمات مالم يتوافر لغيره من جوانب النشاط الفكري الأخرى، ((ونستطيع أن نتخذ من هذه الخصائص مقياسًا نقيس به مدى علمية أي نوع من التفكير يقوم به الإنسان)) [١]، وعليه فالتفكير العلمي بمعناه العام يتسم بسمات معينة ويتميز بمجموعة من الخصائص تكسبه هذه الصفة، أذكر أهمها على النحو التالي:

أولا: التراكمية:

الركام: ما اجتمع من الأشياء، وتراكم بعضه فوق بعض [٢]، وإذا كانت التراكمية في مجال الاقتصاد تعني الزيادة أو الإضافة التدريجية على القيمة الحالية للمال، فهي في مجال العلم كذلك، فهو معرفة تراكمية، ((ولفظ "التراكمية" هذا يصف الطريقة التي يتطور بها العلم والتي يعلو بها صرحه، فالمعرفة العلمية أشبه بالبناء الذي يشيد طابقًا فوق طابق، مع فارق أساسي هو أن سكان هذا البناء ينتقلون دومًا إلى الطابق الأعلى، أي أنهم كلما شيدوا طابقًا جديدًا انتقلوا إليه وجعلوا الطوابق السفلى أساسًا يرتكز عليه البناء)) [٣]، فكل معرفة هي في الحقيقة إضافة لصرح العلم، حيث يستفيد اللاحق من السابق ويزيد عليه؛ ((لأن العلم ليس مجموعة مفككة من الحقائق والقوانين دون ترابط بينها، بل على العكس، فكل نظرية أو معرفة تفسر ظاهرة أخرى، وبذلك تتكون المعرفة التراكمية، وكلما تطور العلم فإن مجموعة القوانين والحقائق التي يتم التوصل إليها تكون في مجملها هيكل متكامل ومنتظم))

(١) التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ١٥.
(٢) المعجم الوسيط، ص ٣٧٠.
(٣) التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ١٥، ١٦.

[١]، وهو ما يصحح التراكم عند البعض، فليس بالضرورة أن تحل النظرية العلمية الجديدة محل القديمة وتلغيها، وإنما توسعها وتكشف عن أبعاد جديدة لم تستطع النظرية القديمة أن تفسرها، وهكذا يكون القديم متضمَّنًا في الجديد، وبذلك يستمد العالِم نقطة بدايته من حيث توقف غيره، فالمعرفة العلمية وإن كانت متغيرة، لكن تغيرها يتخذ شكل "التراكم"، أي إضافة الجديد إلى القديم، ومن ثم فإن نطاق المعرفة التي تنبعث من العلم يتسع باستمرار، كما أن نطاق الجهل الذي يبدده العلم ينكمش باستمرار [٢].

ومما سبق يتضح أن التفكير العلمي هو عبارة عن نشاط منظم وصرح حضاري عظيم يساهم في بنائه العلماء من كل أرجاء المعمورة، وذلك بتكامل الجهود وتبادل الخبرات، والتعاون المثمر الذي يؤدي إلى التراكم المعرفي والتقدم العلمي المستمر.

بعض تطبيقات التراكمية في المجال الدعوي: يستفاد من "التراكمية" في ميدان الدعوة ما يلي:

١- الاستفادة من خبرات السابقين والتعرف على أساليبهم في معالجة المشكلات: فكثير من المشكلات التي نمر بها اليوم مرَّ بها غيرنا ممن هم أكثر تقدمًا منا، فمما لا شك فيه أن معرفتنا بالأساليب التي اتبعت عند الآخرين سوف تساعدنا في حل مشكلاتنا، فالعظماء من العلماء لم يبدؤوا من فراغ، ولكنهم استطاعوا أن يستوعبوا ويهضموا كل الحلول والملاحظات التي أدلى بها مَن سبقهم، ولولا ذلك لما كان هناك تراكم معرفي، وقد سئل (نيوتن) عن إنجازاته الضخمة فقال: قد وقفتُ على أكتاف العمالقة الذين جاءوا قبلي.

قد يكون حل المشكلة التي نريد حلها متوقفًا على حل مشكلة أخرى، مما يجعل عملنا فيها يشبه عمل من يريد بناء طابق خامس ولم يبنِ الطابق الأول!! وقد تكون هناك آراء سابقة خاطئة حول المشكلة [٣]، وهو ما يحتم على الدعاة التعامل معها بطريقة علمية، بألا ينساقوا وراء كل ما يقال، وإنما يُخضعوا هذه الأقوال للدراسة والتمحيص مهما كانت هذه الأقوال شائعة، ومهما

---

(١) أساسيات التفكير المنطقي والبحث العلمي: د. نجلاء محمد بكر، ص ١٥، مؤسسة طيبة أكاديمي، الأولى، بدون تاريخ.

(٢) راجع بتصرف: التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ١٧ وما بعدها.

(٣) راجع: فصول في التفكير الموضوعي: د. عبد الكريم بكار، ص ٣٧، ٣٨ بتصرف واختصار.

كان القائلون لها، فالكل يؤخذ من كلامه ويترك وفق ميزان القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

إن مشكلة الكثيرين اليوم أنهم لا يبدؤون من حيث انتهى غيرهم، ولا يستفيدون من تراكم الخبرات السابقة، بل يصرون على التجربة بأنفسهم والبداية من الصفر، في حين علمنا القرآن أن نستفيد من تجارب غيرنا، وأن نعتبر بإخفاقات من سبقنا، ونقف على أخطائهم حتى لا نكررها. قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام: ١١]، ((والقصص القرآني والنبوي يستهدفان إحداث "التراكمية" لدينا، فهما يحكيان لنا قصص الأنبياء مع أقوامهم، وبيان عاقبة كل منهم، والهدف من وراء ذلك هو الاعتبار ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢] أي: قيسوا أحوالكم بأحوالهم، فالسنن التي تحكمهم وتحكمكم واحدة، ولن يكون الاعتبار إلا بعد هضم تجارب السابقين وخبراتهم حتى نفهم علل تقدمهم وتأخرهم، فنضيف كل ذلك إلى خبراتنا)) [(١)].

٢- ضرورة التعاون والتكامل بين العاملين في حقل الدعوة: فالداعية ينطلق من مقدمة تقول: ((إن هؤلاء الذين يسعون إلى إصلاح المجتمع مجتهدون، فهم يخطؤون ويصيبون فيما يبدونه من رأي وما يتبعونه من أسلوب، ومن الصعب القول إن فلانًا منهم قد انفرد بالصواب، وفلانًا قد انفرد بالخطأ، وهو بذلك يدرك أنه جزء من منظومة إصلاحية تشبه المنظومة العددية، حيث يستمد كل عدد فيها قيمته من خلال موقعه من العدد الأكبر والأصغر منه، وبذلك يكتشف أن قربه من الحق نسبي كما أن بعد الآخرين منه أيضًا نسبي، وبذلك نكتشف أسباب التماثل والتقارب، لنصل منها إلى التعاذر والتعاون)) [(٢)].

أما أن يعمل الداعية وحده معتقدًا أنه يمتلك الحق المطلق، ومحتقرًا جهود مَن سبقوه في ميدان الدعوة، فهذا بداية الفشل والتنافر بل والتناحر، والأوْلى بالدعاة أن يقدروا جهود مَن سبقوهم، وقدوتهم في ذلك الداعية الأول صلى الله عليه وسلم في قوله: (رحم الله أخي موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا

---

(١) فصول في التفكير الموضوعي: د. عبد الكريم بكار، ص ٤٣ بتصرف يسير.

(٢) راجع: خطوة نحو التفكير القويم: د. عبد الكريم بكار، ص ٧١، ٧٢ باختصار، دار الأعلام، عمان، الأردن، الخامسة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

فصبر)[١]، معلنًا تأسيه بموسى عليه السلام في صبره على أذى قومه، وفي قوله: (يرحم الله لوطًا، لقد كان يأوي إلى ركنٍ شديد، ولو لبثتُ في السجن ما لبث يوسف لأجبتُ الداعي) [٢]، وهذا من عظيم خلقه وتواضعه وهضمه حق نفسه صلى الله عليه وسلم.

إن جهود السابقين في ميدان الدعوة بمثابة رصيد من الخبرة والتجارب يستفيد منه اللاحقون ويضيفوا عليه، وبذلك تتضافر الجهود، وتتكامل الرؤى، وتتراكم الخبرات في منظومة الدعوة المباركة.

ثانيًا: الشمولية واليقين:

أما عن الشمولية، فالمعرفة العلمية شاملة ((بمعنى أنها تسري على جميع أمثلة الظاهرة التي يبحثها العلم، ولا شأن لها بالظواهر في صورتها الفردية، وبذلك تتحول التجربة الفردية الخاصة على يد العلم إلى قضية عامة أو قانون شامل)) [٣]، وذلك أن العلم هو مجموعة من القواعد والقوانين التي تحكم ظاهرة ما، وهذه القوانين – وفق المصطلح القرآني – هي سنن يجب أن تكون من الشمول بحيث لا يمكن تأطيرها في زمان أو مكان محدد، فحين نرى تفاحة تسقط فإن ذلك يتعدى في المعرفة التفاحة، لنطبق الجاذبية على كل جسم [٤].

والمقصود باليقين هنا: قابلية الحقيقة العلمية للانتقال إلى كل من تتوافر لديهم القدرة العقلية على فهمها والاقتناع بها، وبالتالي تصبح بمجرد ظهورها ملكًا للجميع، وهذه الصفة هي التي تجعل الحقيقة العلمية "يقينية" و"عالمية" في ذات الوقت، ولذلك فإن "اليقين" في العلم مرتبط ارتباطًا وثيقًا بطابع "الشمول" الذي تتسم به قضايا العلم، إذ أن كل عقل لا بد أن يكون "على يقين" من تلك الحقيقة التي تفرض نفسها عليه بأدلة وبراهين لا يمكن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب – باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه ٥/٢٢٥١، ح رقم ٥٧١٢ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء – باب قوله عز وجل: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الحجر: ٥١] ٣/١٢٣٣، ح رقم ٣١٩٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ٣٦، ٣٧ باختصار.

(٤) فصول في التفكير الموضوعي: د. عبد الكريم بكار، ص ٤٣.

تفنيدها، بحيث لا يعود فيها مجال للخلاف بين فرد وآخر، وإلا بقيت في نطاق الظنون والأوهام [١].

بعض تطبيقات الشمولية واليقين في المجال الدعوي:

١- تعميم السنن الربانية على كافة الظواهر ذات الصلة: فكما أن العلم يدرس الظواهر والجزئيات لكي يصل إلى نتائج وقوانين عامة تحكم كافة الحالات والظواهر المماثلة، فكذا السنن الربانية والنواميس الكونية إذا أحسن الدعاة قراءتها واستيعابها أمكنهم الاهتداء إلى علاج الظواهر والمشكلات المرتبطة بها، فهي بمثابة قوانين عامة تحكم حركة الكون والحياة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ [محمد: ٧]، فهي سنة ربانية مطردة، تصدق على المؤمنين وتطبق عليهم في كل زمان ومكان، فقد أخذ المسلمون بأسباب النصر فانتصروا في غزوة بدر على قلتهم وكثرة عدوهم، وخالف الرماة أوامر النبي صلى الله عليه وسلم وانشغلوا بالغنائم في غزوة أحد فهُزموا، وهي سنة ماضية لا تتخلف. وواجب الدعاة أن يبينوا للناس هذه السنن ويؤكدوا على اطرادها، فهي ثابتة لا تتخلف ولا تتغير، ولا محاباة فيها ولا مجاملة ﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٧]، وهي سنن عامة تشمل كل ما ارتبط بها من ظواهر زمانًا ومكانًا.

٢- اليقين ضرورة لا سيما في القضايا الكبرى كالقضايا الاعتقادية ونحوها: ففي مثل هذه القضايا لا يكفي الظن، بل لا بد فيها من اليقين الذي لا يتطرق إليه شك. قد يؤخذ بغلبة الظن في بعض القضايا الفرعية والأحكام الجزئية التي تقوم عليها تعاملات الناس في حياتهم اليومية، ولهذا تقبل شهادة الشهود مع احتمال الكذب، ويقبل خبر الواحد مع مظنة الخطأ، بينما في مجال العقائد ونحوها فلا بديل عن العلم اليقيني، ولذلك شدد القرآن النكير على المشركين بسبب اتباعهم الظن في مثل هذه القضايا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، كما ذكر القرآن أن ضلال أكثر أهل الأرض وإضلالهم ناتج عن اتباع الظن والقول بغير علم. قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ

(١) راجع بتصرف: التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ٣٨.

هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وهكذا رفض القرآن الظن في كل موضع يستوجب اليقين، فالظن ليس من العلم ولا يعد طريقًا من طرق التفكير العلمي السليم لافتقاره إلى الأدلة والبراهين، واعتماده على الخرص والتخمين، ولذلك جاء النهي عنه في السنة النبوية، ففي الحديث: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث)[١]، وهذا درس للداعية ألا يجزم بشيء ويدَّعي فيه اليقين، ما لم يقم عليه دليل واضح لا لبس فيه ولا غموض، وإلا اهتزت صورته وضعفت مصداقيته في أعين المدعوين.

ثالثًا: الموضوعية: سبق القول بأن "اليقين" هو أحد سمات التفكير العلمي، شريطة أن يكون هذا اليقين موضوعيًّا، بمعنى أنه يستند إلى أدلة معتبرة ومقنعة لأي عقل سليم، بخلاف اليقين الذاتي أو الشخصي، الذي يقوم على اعتقاد الشخص لأشياء ليس لها أي مستند علمي خارج عن ذاته، فمثل هذا اليقين لا قيمة له في مجال التفكير العلمي، وتأكيدًا لذلك فقد منع كثير من أهل العلم قضاء القاضي بعلمه، وإنما بالبينات التي حددها له الشارع، وكان دافعهم إلى ذلك دفع التهمة عنه، ومنع اختلاط الأهواء والظنون. قال القاسم [٢]: ((لا ينبغي للحاكم أن يُمضي قضاءً بعلمه دون علم غيره، مع أن علمه أكثر من شهادة غيره، ولكنَّ فيه تعرضًا لتهمة نفسه عند المسلمين، وإيقاعًا لهم في الظنون)) [٣]، حتى إن الأحناف الذين أجازوا للقاضي أن يقضي بعلمه تراجع متأخروهم عن ذلك وأفتوا بمنعه نظرًا لفساد الزمان [٤].

وبالتالي فاليقين المعتبر في التفكير العلمي هو اليقين الموضوعي، ويقصد بالموضوعية: ((رؤية الأشياء على ما هي عليه في واقع الحال بناءً على علم صحيح ثابت معترف به بعيدًا عن الهوى وكل المؤثرات الخارجية، ثم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب – باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ٢٢٥٣/٥، ح رقم ٥٧١٧، ومسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب – باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها ١٩٨٥/٤ ح رقم ٢٥٦٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) هو أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان من سادات التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وتوفي سنة ١٠١هـ، وقيل غير ذلك. راجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٥٩/٤، دار صادر، بيروت، الأولى ١٩٧١م.

(٣) صحيح البخاري: باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولايته ٦٩/٩ ح رقم (٧١٧٠).

(٤) راجع: القاضي والبينة: عبد الحسيب عبد السلام يوسف، ص ٤٧٦، ٤٧٧، مكتبة المعلا، الكويت، الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الحكم عليها والتعامل معها وفق تلك الرؤية)) [١]، وتقتضي الموضوعية تخلي الإنسان عن عواطفه في اتخاذ القرارات أو إصدار الأحكام، لا سيما في المسائل والقضايا التي تقبل النقاش وتختلف فيها وجهات النظر، وبالتالي فهي معيار أساسي لضبط التصورات وبناء المفاهيم والحكم على الأشياء بعيدًا عن التحيزات النفسية والأهواء الشخصية، وهي بهذا المعنى تمثل إحدى أهم سمات التفكير العلمي؛ ((لأنها تتيح لكل من شاء، ومن كان له القدر الكافي من التحصيل والتدريب، أن يراجع الأفكار المطروحة ليستوثق من صدقها صدقًا علميًّا، وبالتالي فإن التفكير العلمي مطلبه عسير على غير من دُربوا عليه)) [٢].

لقد دعا الإسلام إلى الموضوعية وحث عليها لتكون ميزانًا للمسلم في الحكم على الأشياء في حالتي المودة والعداء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢] وقال أيضًا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

والموضوعية لا تنافي تمسك المسلم بمعتقداته ومبادئه وقيمه، وإلا تحولت الثوابت والمعتقدات إلى قضايا فيها أخذ وعطاء، وقبول وردّ، تحت مزاعم الموضوعية والتجرد، وهو أمرٌ يتردد على ألسنة البعض، حتى أصبح الكثير منهم يعرف الموضوعية بأنها تجرد الباحث من كل اعتبار قيمي وعقدي [٣]، فالموضوعية إنما هي معيار للأمور الاجتهادية التي تتفاوت فيها الأفهام، فالواجب على المسلم في هذه الأمور أن يكون موضوعيًّا متجردًا للحق باحثًا عنه، بعيدًا عن الأهواء الشخصية والرغبات النفسية.

بعض تطبيقات الموضوعية في المجال الدعوي: يستفاد من "الموضوعية" في ميدان الدعوة ما يلي:

١- التجرد من الأهواء الشخصية والميول الذاتية في الحكم على المواقف والأشخاص والأفكار: ((فالعقل المسلم عقل علمي يسعى للمعرفة على

---

(١) تجديد الخطاب الإسلامي "الشكل والسمات": د. عبد الكريم بكار، ص ٥٣، ٥٤، دار المسلم، الرياض، الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٢) أسس التفكير العلمي: د. زكي نجيب محمود، ص ٤٦، سلسلة "كتابك"، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

(٣) الموضوعية في العلوم الطبيعية: حمدان عبد الله الصوفي، ص (أ)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.

شروطها وحسب معطياتها الموضوعية، لا على أساس من الأهواء والنزوات))[1]، فالهوى يُعمي ويُصم، وعندما يسيطر على الإنسان يسدُّ عليه منافذ الإدراك الصحيح، فيأتي حكمه على الأشياء غير سليم، حتى إن القرآن ليذكر أن اتباع الهوى قاد المشركين إلى عبادة أحجار هم الذين نحتوها وشكلوا منها أصنامًا وسمُّوها فقال: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٣]، ويصل اتباع الهوى إلى منتهاه حين يتخذه الإنسان إلهًا يُعبد من دون الله، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ولذلك ينبغي أن يكون ولاء الداعية دومًا للحق مهما كان مخالفًا لهواه، بحيث ينعكس ذلك على عواطفه ومشاعره وكافة انفعالاته ومختلف مواقفه.

٢- الإنصاف والبعد عن التعميم: فالدعاة هم أوْلى الناس باتباع العدل في تناول الأمور، وذلك بأن يجردوا أنفسهم من الميل والحيف، ويدركوا ما عند الآخرين من حسنات وميزات، وما يعانونه من مشكلات، فيقدرون جوانب الخير فيهم، ويتفهمون ظروفهم فيعذرونهم ويمدون لهم يد العون والمساعدة.

والإنصاف منهج قرآني فريد، فقد أنصف القرآن طوائف من أهل الكتاب حتى وإن كانوا قلة، فقال: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ [آل عمران: ٧٥] وقال أيضًا: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤] فمدح في بعضهم الأمانة، وفي بعضهم التقى والصلاح بحسب تعاليم ديانتهم، وهو بهذا يستنقذ الدعاة من براثن التعميم الذي يجافي الموضوعية ويغلق منافذ الحوار والالتقاء على أرض مشتركة مع غير المسلمين، وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نعترف للآخرين بما يملكون من بقية خير، فرغم أنه بعث في أمة العرب وفيهم ما فيهم من الضلال ومساوئ الخلال، ومع ذلك كان دقيقًا في تعبيره

---

(١) قضية المنهجية في الفكر الإسلامي: د. عبد الحميد أبو سليمان، ص ٣٠، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

حين قال: (إنما بعثتُ لأتمم صالح الأخلاق) [١]، إنصافًا لواقع أمة العرب قبل الإسلام، وإشارة إلى أن صرح الأخلاق الذي بعث لإتمام بنائه إنما كانت له جذور وأساسات في المجتمع العربي، فهل يستفيد دعاة اليوم من المنهج القرآني والنبوي في خطاب المخالفين ومحاورة غير المسلمين، أم يظل الخطاب الحماسي الهجومي الشعبوي هو المسيطر والأعلى صوتًا؟!

رابعًا: الدقة والضبط:

فلغة التفكير العلمي لغة دقيقة ومنضبطة، ولا مجال فيها للغموض أو الالتباس. يقول د. فؤاد زكريا: ((في حياتنا المعتادة نستخدم في أحيان كثيرة عبارات تتسم بالغموض، وتبتعد عن الدقة، كأن يقول شخص: "قلبي يحدثني بأنه سيحدث كذا" وأمثال هذه التعبيرات ليست مرفوضة في الأحاديث اليومية المألوفة، بل إنها قد تؤدي فيها وظيفة هامة، هي الإيحاء بشيء معين دون تحديد دقيق له. أما في العلم فمن غير المقبول أن تترك عبارة واحدة دون تحديد دقيق، أو تستخدم قضية يشوبها الغموض أو الالتباس)) [٢]، فالإنسان الذي يفكر علميًّا يعرف كيف يتعامل مع المواقف التي تمر به، فهو يلاحظها بطريقة فاحصة من جميع نواحيها، ويدرس سائر احتمالاتها والظروف المؤثرة فيها، وحال وصوله إلى نتيجة يصوغها بطريقة كمية دقيقة، وتلك هي لغة العلم، ((ومن هنا غرست تعاليم الإسلام كلها في نفس المسلم كل ما يجعله دقيقًا في كل حركة في حياته، فالعبادات في الإسلام قد أحيطت بإجراءات صارمة في كثير من الأحيان، حتى تمسي الدقة جبلة في المسلم لا ينفك عنها، فالصلاة موقوتة بأوقات محددة، والزكاة ذات أنصبة محددة، والصيام كذلك، فلو أن مسلمًا أمسك من طلوع الفجر، ثم أفطر قبل الغروب بدقائق لما صح صيامه، والحج أشهر معلومات، أما في شؤون الحياة العامة فإن الدقة ضرورية جدا لقطع دابر المنازعات بين الناس، وفي هذا الصدد نجد أطول آية في كتاب الله هي آية "المداينة" تلك التي تعلمنا ضبط ضرورة من ضرورات الحياة، وهي "الدَّيْن"، وفي هذا يقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وذلك للتقليل من الاعتماد على الذاكرة،

---

(١) رواه أحمد في سننه ٣٨١/٢ ح رقم ٨٩٥٢، وقال الهيثمي في "الزوائد": رجاله رجال الصحيح.

(٢) التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ٤٠.

ولقطع الطريق على جحود الجاحدين؛ احتياطًا لما قد يعرض للمستدين من الموت، فلا يموت الحق معه)) [١].

بعض تطبيقات الدقة والضبط في المجال الدعوي: يستفاد من الدقة والضبط في ميدان الدعوة ما يلي:

١- الدقة في التعبير وتسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية: فالعناية بالمصطلحات تحريرًا وضبطًا من أهم مستلزمات التفكير العلمي، ذلك أن الدقة في استخدام المصطلح هي أمرٌ لا بد منه في ضبط عملية الفهم والتواصل، وإعادة تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة، ((فاللفظ حين يقال تكتنفه ظروف وملابسات وبيئات وأفكار ومواقف وتخصصات، وهي التي تحدد المراد منه في غالب الأمر، فإذا أُخِذ مجردًا أوقع صاحبه في الخلل والتخبط، وأرْدَاه في مغبة سوء الفهم، وأسلمه إلى نتائج لا تتفق مع المنهجية العلمية في التفكير، وذلك لأن المتحدث قد يقصد بكلامه شيئًا لا يعبر عن واقع الحال أو المقال أو كليهما، وقد جاء هذا الأمر جليًّا في قول الله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ [الحجرات: ١٤] فها هم الأعراب يعبرون بمصطلح الإيمان عن حالهم ومقالهم، وهو لا يعبر عن ذلك، إنما الذي يعبر عن ذلك – في الظاهر فقط – هو الإسلام، لكون كل مصطلح له دلالته التي يعبر عنها)) [٢].

وهو الأمر الذي يفسر حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ضبط المصطلحات، فقد كان يعمد إلى ضبط استخدام الألفاظ والمصطلحات الشائعة لديهم، وإلى تصحيح المفاهيم بما يتوافق مع الشرع ومقاصده، ومن ذلك أنه سألهم يومًا: (ما تعدون الصُّرَعَة فيكم؟) قالوا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: (ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب) [٣]، كما نها الإسلام عن ترديد بعض الكلمات التي ترِدُ على لسان غير المسلمين، وتنطوي على مخالفات شرعية، إن في لفظها وإن في معناها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ ﴾ [البقرة: ١٠٤]،

---

(١) فصول في التفكير الموضوعي: د. عبد الكريم بكار، ص ٨٧.

(٢) منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية: خليل الحدري، ص ١٨٣، ١٨٤ باختصار.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء ٤/٢٠١٤، ح رقم ٢٦٠٨، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تسمُّوا العنبَ الكَرْم، ولا تقولوا خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر) [١]، وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم ما شاء فلان) [٢]، وعليه فالواجب على الداعية أن يتخير ألفاظه وينتقي كلماته بحيث تكون دقيقة الدلالة واضحة المعنى، حتى لا تختلط الأفهام وتكثر التساؤلات، فيكون ضررها أكثر من نفعها.

٢- اعتماد أسلوب الإحصاء في مجال الدعوة: فهو يعد خطوة أولى على طريق الحلول الناجعة، ومقياسًا دقيقًا لحضارة الأمة، ومظهرًا من مظاهر الدقة والموضوعية، والعلم نفسه يزداد اعتماده على اللغة الكمية يومًا بعد يوم، بل إن علاج المشكلات الاجتماعية يحتاج في كثير من الأحيان إلى معلومات إحصائية تكشف عن حجم المشكلة، وما سبق من محاولات لحلها [٣]، وفي العلوم الحديثة يشترط في الأهداف أن تكون قابلة للقياس بطريقة إحصائية.

ولذلك فقد اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب الإحصاء منذ الأيام الأولى لدعوته، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أحصُوا لي كل من تلفَّظ بالإسلام)[٤]، وفي غزوة بدر استنتج النبي صلى الله عليه وسلم عدد جيش المشركين بطريقة حسابية إحصائية، فقد تم القبض على غلامين كانا يستقيان لجيش مكة، فسألهما النبي صلى الله عليه وسلم : كم القوم؟ قالا: كثير، قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالا: يومًا تسعًا ويومًا عشرًا، فقال: القوم ما بين التسعمائة إلى الألف[٥]، ولما اتسعت الدولة الإسلامية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان لا بد من تطوير النظام الإداري للدولة، وذلك بإنشاء الدواوين لضبط ميزانية الدولة وإحصاء جندها ونحو ذلك وفق جداول وسجلات ثابتة، ومن ذلك: ديوان العطاء، وديوان الجباية، وديوان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب – باب لا تسبوا الدهر ٢٢٨٦/٥ ح رقم ٥٨٢٨، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ٣٧٠/٣٨ ح رقم ٢٣٣٤٧، من حديث حذيفة رضي الله عنه .

(٣) فصول في التفكير الموضوعي: د. عبد الكريم بكار، ص ٨٧، ٨٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان – باب الاستسرار بالإيمان للخائف ١٤٩/١، ح رقم ٢٦٠٨، من حديث حذيفة رضي الله عنه .

(٥) ذكر ذلك ابن هشام في السيرة النبوية ١٦٤/٣، والبيهقي في دلائل النبوة ١١٣/٣، وأحمد في مسنده ٢٥٩/٢ ح رقم ٩٤٨ من حديث علي رضي الله عنه بلفظ مقارب.

بيت المال، وديوان الجند، .. إلخ. وما من شك في أن مؤسسات الدعوة اليوم أحوج ما تكون إلى التطوير الشامل، وذلك باعتماد الأساليب الحديثة – ومنها أسلوب الإحصاء – في رصد واقعها، والتعرف على مشكلاتها بطريقة علمية تساعد على وضع حلول مناسبة.

خامسًا: الواقعية والإيجابية:

من أخص خصائص التفكير العلمي أنه يقوم على الواقع لا على الخيال أو الأحلام، وبالتالي تأتي نتائجه واقعية وعقلانية، فهي ((منبثقة من أرض الواقع بعيدًا عن الأوهام الزائفة أو الاحتمالات الكاذبة، وكلما كان التفكير العلمي مبنيًّا على العقلانية، كان مردوده مقبولا وواقعيًّا، وبخاصة لمن ينتهجون مبدأ الصدق مع النفس واحترام قيمة العقل والعلم)) [(١)].

وواقعية التفكير العلمي في المنهج الإسلامي تقتضي مراعاة الطبيعة البشرية، وتفاوت القدرات بين بني البشر، بل ومراعاة الفرد الواحد في مختلف ظروفه وأحواله، فهي توازن بين غذاء الروح ومتطلبات الجسد، وتسمو بالنفس البشرية إلى عالم الدار الآخرة دون إغفال لزينة الدنيا وطيباتها، حتى يتحقق العمران وفق منهج الله، وهكذا يغري الإسلام بالتطلع إلى المثالية دون تجاهل لواقع الإنسان وفطرته وقدراته وطاقاته، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، بخلاف واقعية الغرب التي ينادي بها الملاحدة الماديون، فالواقعية عندهم هي: ((مذهب أدبي فكري مادي ملحد، يصور الحياة كمادة ويرفض عالم الغيب ولا يؤمن بالله، ويرى أن الإنسان عبارة عن مجموعة من الغرائز الحيوانية، ويتخذ من كل ذلك أساسًا لأفكاره))[(٢)]، فهم يختزلون الإدراك الواقعي للحياة في المدركات والمحسوسات المادية فقط!!

ولا يقصد بواقعية التفكير العلمي: الاستكانة إلى الواقع والرضا به مهما كان وضعه، وعدم السعي إلى تغييره إلى الأفضل، فهذه واقعية سلبية، يرضى أصحابها بالدون ويتنازلون عن مبادئهم مبررين ضعفهم واستكانتهم بالواقعية!! وإنما ((المطلوب من الداعية هو: تغيير فساد الواقع وتسييره إلى ما يحبه الله ويرضاه، مع مراعاة الموضوعية في الفكر والدعوة والطرح في

---

(١) التفكير العلمي وصناعة المعرفة: د. علي حبيش، ص ٧ باختصار.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ٢/ ٢٨٤ بتصرف، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الثالثة ١٤١٨هـ. إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني.

سبيل تغيير هذا الواقع، لكن من الخطأ وقوع بعض الدعاة في "فخ الرضا بالواقع ومسايرته"، بل هو "الانهزامية أمام ضغط الواقع" حتى يصبح الواقع هو الأصل والحكم، والدعوة هي الفرع والمحكوم عليه!! وإذا نادى بعض من وقع في هذا الفخ بأن يكون الداعية واقعيًّا في دعوته، فإنه يقصد: أن يقبل الداعية بالواقع كما هو، فيتخلى عن مبادئه كي لا تصطدم مع واقعه المزعوم، ويصل إلى الانحراف الكامل في نهاية المطاف؛ لأن الاستعداد للتنازل تتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء، ومثل هذا السلوك يؤدي إلى ما يسمى بـ "عصرنة الدين"، وأصحاب هذا السلوك يعطلون كثيرًا من الأحكام الشرعية بحجة أنها كانت لحوادث تاريخية لا تصلح لعصرنا الحاضر، ويلوون أعناق النصوص بما يتفق مع متطلبات العصر الحديث في زعمهم!!)) [(١)]، والحق أن الواقعية التي يتسم بها التفكير العلمي وفق المنهج الإسلامي هي الواقعية الإيجابية المتوازنة، فلا هي تخضع لأحلام الفكر والخيال الذي يقفز على الأحداث ويتجاهل الواقع، ولا هي تتخلى عن ثوابت الدين استجابةً لضغط الواقع.

بعض تطبيقات الواقعية في المجال الدعوي: يستفاد من الواقعية في ميدان الدعوة ما يلي:

١- فهم الشرع والواقع معًا: فالداعية بحاجة إلى فهم نصوص الشرع واستيعاب مقاصدها، وحتى يتمكن من تنزيل النص الشرعي على الوقائع فهو بحاجة إلى فقه الواقع ودراسته بشكل علمي مستند إلى معلومات صحيحة وبيانات وإحصاءات دقيقة تمكنه من فهم جوانب الموضوع والإلمام بكافة تفاصيله، بحيث إذا تعارضت المصالح قدمت المصلحة العليا على الدنيا، والعامة على الخاصة شريطة تعويض صاحب المصلحة الخاصة وعدم الإضرار به، وهكذا.

ومما سبق يتأكد للقارئ أهمية فقه الواقع، فعليه تبنى الكثير من الأحكام، وفي ضوئه تعالج الكثير من القضايا، يقول ابن القيم: ((ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع، بالقرائن والأمارات والعلامات، حتى يحيط به علمًا. والنوع الثاني: فهم الواجب في الوقع، وهو

---

(١) فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية: سعد بن عبد الله القعود، ص ١٦٩، ١٧٠ باختصار وتصرف، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة ١٤٣٢هـ.

فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر)) [١]، وفي المنهج القرآني إشارة إلى ضرورة فهم الواقع، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، فاستبانة سبيل المجرمين والإلمام بأهدافهم والوقوف على مخططاتهم هو من صميم فقه الواقع، وبقدر فهم الداعية للواقع يكون حكمه على الأحداث الجارية، وإدراكه لكيفية التعامل معها، واستشرافه لعواقبها ومآلاتها، وبالتالي يتحقق فيه قول الفاروق عمر رضي الله عنه : (لستُ بالخبّ [أي: الخدَّاع الخبيث] ولا الخب يخدعني) [٢].

خيال مريض!! كنتُ في مناسبة عزاء في إحدى القرى، ووقف أحد أبناء القرية ودعاتها لإلقاء كلمة في سرادق العزاء، وكان جُل حديثه منصبًّا على الزنا والعلاقات المحرمة بين الرجال والنساء، وكانت الموعظة مليئة بالتلميحات التي تشير بوضوح إلى انتشار الأمر واستفحال خطره بين أبناء القرية، لدرجة أن أحد الحضور من بلدة أخرى همس في أذني قائلا: هل الزنا منتشر في هذه القرية إلى هذا الحد؟! فقلتُ: لا والله، ولا أعلم عن غالب أهل هذه القرية إلا الخير، وإقبال أبنائها على حفظ كتاب الله، حتى اشتهرت بذلك بين القرى المجاورة، ولكنه الخيال المريض لبعض من غاب عنهم فقه الواقع، وحرموا الوعي والبصيرة في الدعوة، وربما كان يتحدث عن حالة أو عدة حالات فردية، فما ينبغي – إن صح هذا – أن تضخم هكذا، ويتم طرح الموضوع على أنه ظاهرة منتشرة ومتفشية، ولله في خلقه شؤون!

٢- التركيز على الجانب العملي وتجنب الخوض فيما لا ينبني عليه عمل: فالخوض في مثل هذه الأمور هو من الترف المعرفي الذي لا يترتب عليه عمل، وهو من التكلف الذي نهينا عنه شرعًا، وهي قاعدة أصولية ومنهج قرآني ونبوي، ففي القرآن الكريم: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[البقرة: ١٨٩] حيث وقع الجواب بما يتعلق بالعمل، وفي السنة النبوية سئل النبي صلى الله عليه وسلم : متى الساعة؟ فقال للسائل: (ما

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية ٨٧/١، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٩٧٣م. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

(٢) أدب الدنيا والدين: أبو الحسن الماوردي، باب فضل العقل وذم الهوى، ص ١٨، دار اقرأ، بيروت، الرابعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. شرح وتعليق: محمد كريم راجح.

أعددتَ لها؟) [١] حيث أعرض النبي صلى الله عليه وسلم عن صريح سؤال السائل إلى ما فيه عمل وفائدة، ولذلك قال الشاطبي رحمه الله: ((كل علم لا يفيد عملا فليس في الشرع ما يدل على استحسانه)) [٢].

إن واقعية التفكير العلمي في المجال الدعوي تحتم على الدعاة أن يكفوا عن تناول القضايا التي شغلت الفكر الإسلامي حينًا من الدهر، وأصبحت الآن جزءًا من الماضي، ومنها – على سبيل المثال – قضية الذات والصفات، وقضية خلق القرآن، وغيرهما من القضايا التي كثر الخلاف حولها دون جدوى، واستهلكت طاقات العلماء دون فائدة، والواجب على الدعاة اليوم أن يهتموا بالبناء والعمل، فقد ((جاء الإسلام من أجل إصلاح الواقع، وحل مشكلات الناس، ولذا كان من الطبيعي أن يلتحم بذلك الواقع. وكانت البداية أن القرآن الكريم نزل منجمًا مواكبًا لحال الأمة والدعوة خطوة خطوة، وتكامل ذلك مع توجيه القرآن الكريم لهم بعدم الإكثار من المسائل التي لا تعنيهم في أمور دينهم حين قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠١] وذلك حتى لا تتضخم المعارف على حساب الفعل، وحتى لا يقع الخلاف في مسائل لا رأي فيها للواقع المعاش، فتصير الأمة إلى الجدل والمراء وتفرق الكلمة، واستجابةً لذلك نجد عمر رضي الله عنه يقول: (أحرج عليكم أن تسألونا عما لم يكن، فإن لنا فيما كان شغلا)، وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه إذا سئل عن شيء يقول: كان هذا؟ فإن قالوا: لا، قال: دعوه حتى يكون، وسئل أحمد بن حنبل عن مسألة فقال: وقعت هذه المسألة؟ بليتم بها بعد؟![٣] هذا هو حال الأمم في أزمنة النهوض، أما في حالات الركود والانحطاط فإن قسمًا من الأمة يكون مشدودًا إلى الماضي دون أن يفيد شيئًا من واقعه، وقسمًا يتجاوز الماضي والحاضر إلى مستقبل لا يملك من عتاده سوى الأحلام الوردية)) [٤]، وكم يكون كلام الداعية مؤثرًا في نفوس الناس

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب – باب علامة الحب في الله سبحانه وتعالى ٥/٢٢٨٣ ح رقم ٥٨١٩، ومسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب – باب المرء مع من أحب ٤/٢٠٣٢ ح رقم ٢٦٣٩ من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) الموافقات في أصول الفقه: الإمام الشاطبي ١/ ٦١، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: د. عبد الله دراز.

(٣) راجع: جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي، ص ٩٢، ٩٣، دار المعرفة، بيروت، الأولى ١٤٠٨هـ.

(٤) فصول في التفكير الموضوعي: د. عبد الكريم بكار، ص ١٤٠.

حين يمس واقعهم ويلمس مشكلاتهم، ويتناولها بالعلاج أو البحث عن حلول؛ الأمر الذي يجعل خطابه فعالا ومؤثرًا في نفوس سامعيه.

المبحث الثالث

منهجية التفكير العلمي وتوظيفها في المجال الدعوي

ظل الإنسان حينًا من الدهر يستعيض عن العلم بخيالاته وأوهامه وحدسه وأفكاره المجردة، حتى جاء الإسلام بمنهجية واضحة تأخذ بيده إلى التفكير السوي المبني على أسس علمية واضحة. وأعني بالمنهجية هنا: الطريقة الواضحة أو الخطة المنظمة ذات الخطوات المتدرجة التي يستصحبها الداعية للوصول إلى المقصود، وهو نشر ثقافة التفكير العلمي في التعامل مع المواقف والقضايا والظواهر المجتمعية.

والمجال الدعوي اليوم أحوج ما يكون إلى منهجية التفكير العلمي، بحيث تسود الروح العلمية كافة مواقف الداعية وشؤون حياته، وتنعكس على خطابه الدعوي، فينظر إلى الأحداث اليومية والقضايا الحياتية نظرة علمية، أما حين تغيب الروح العلمية، فإن حركة الداعية تسير بطريقة أقرب إلى التلقائية، والعفوية، والارتجالية، والانفعالية، والعاطفية، والغوغائية ، وتكون مجرد رد فعل على المواقف التي تواجهه دون تخطيط مسبق أو تدبير محكم، ويصبح هم الداعية ومنتهى أمله نيل إعجاب الجماهير، فهو يخطب ودهم، ويسعى إلى ما يرضيهم لا إلى ما يحقق مصالحهم ويصلح من شؤونهم.

وفي هذا المبحث سوف أتناول بعض الضوابط الحاكمة والقواعد المنهجية للتفكير العلمي، التي يتوجب على الداعية أن يلم بها ويوظفها في المجال الدعوي، وهي قواعد لها دور كبير وحيوي في غرس النزعة العلمية، وإكساب الداعية سمات منهجية واضحة يستطيع من خلالها أن يوظف التفكير العلمي في حركته الدعوية، فهي تضبط نظرته للأشياء، وحكمه على المواقف والقضايا والظواهر الاجتماعية، وهو ما سيتضح أثناء عرضها من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: بناء العقلية العلمية

لقد أكد القرآن على وظيفة العقل، ودعا إلى النظر والتأمل والتفكر بأساليب شتى وصور متنوعة، تؤدي – بلا شك – إلى بناء "العقلية العلمية" وصياغتها لتؤدي وظيفتها في الحياة، وفي ذات الوقت تحذر من "العقلية الخرافية" التي تؤمن بالخرافة، وتتلقى كل ما يقال لها أو يعرض عليها بالقبول دون إعمال عقل أو تفكير، وتنقاد لما عليه جمهور الناس بغض النظر عن

صوابه وخطئه. ويقصد بالعقلية العلمية: ((تلك العقلية المنهجية المنظمة، التي تعلي من شأن العلم، وترفع من قدره، وتعوِّل على الدليل والبرهان، وتنبذ الخرافات والأساطير، ولا تقبل النتائج بغير مقدمات، ولا تُحكِّم العواطف والظنون في مقام يطلب فيه اليقين المجرد، ولا تثبت إلا ما قامت عليه الحجة، ويسميها البعض بـ "الروح العلمية" قاصدًا بها ذلك الحافز الذي يدفع الداعية للتأمل، ويوجهه إلى النظر السليم، ويدعوه إلى تحري الموضوعية في الحكم على المواقف والقضايا)) (١).

وما سميت "العقلية العلمية" بهذا الاسم إلا لأنها ترد كل شيء إلى العلم، وتزن الأمور بميزان المنطق، وترفض السطحية والتصديق بكل ما يقال، ولا تستسلم للخرافة، ولا تنساق وراء الأوهام والأباطيل، ولا تقبل المبالغة والتهويل، ولتنشئة هذه العقلية والاستفادة منها في المجال الدعوي ينبغي اتباع الآتي:

١- احترام العقل وإعماله في كل ما يقبل النظر والتأمل: وذلك بإخضاع كل شيء – فيما عدا المسلمات الدينية والعقلية – للفحص والاختبار، ومن ثم الرضا بالنتائج والانطلاق منها والبناء عليها. والنظر المقصود هنا: هو النظر العقلي، الذي يستخدم الإنسان فيه فكره ويُعمل عقله لإدراك الأشياء، وهو ما بينه العلامة الراغب بقوله: ((النظر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الروية. يقال: نظرتَ فلم تنظر، أي: لم تتأمل ولم تتروّ)) (٢).

لقد عدَّ العلماء "إنكار قدرة العقل" من أهم معوقات التفكير العلمي، فالبعض يقلل من قيمة العقل؛ استنادًا إلى أن الإنسان في مجال الفن والشعر والأدب يهيب بقوى أخرى غير العقل، قد يسميها الخيال أو الحدس، ولا حرج في اعتماد الإنسان على هذه القوى عندما يكون بصدد إبداع عمل فني أو أدبي، أما أن يعتقد البعض أن الحدس والخيال ونحوها تصلح مرشدًا لنا في ميدان المعرفة ذاته، فهذا هو أكبر عقبة في طريق تقدم العلم، وانطلق خصوم

---

(١) راجع باختصار وتصرف: أثر السنة في تكوين العقلية العلمية: د. أحمد قوشتي، ص ٧، ٨.

(٢) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ص ٤٩٧، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: محمد سيد كيلاني.

العقل من مقدمة صحيحة، فحواها أن العقل ما زال عاجزًا عن كشف كثير من أسرار الكون، وأن هناك مشكلات كثيرة يعجز العقل عن حلها، ويتضح فيها محدودية قدرته، ويستنتجون من هذه المقدمة الصحيحة نتيجة باطلة، مؤداها أن العقل بطبيعته عاجز، وأنه سيظل إلى الأبد قوة محدودة قاصرة، ومن ثم فلا بد من الاعتماد على قوة أخرى غيره، والحق أن العقل ليس بهذه الصورة التي يصوره بها البعض، فبرغم أنه ما زال يجهل الكثير، ويعجز عن الكثير، فإنه أفضل أداة يملكها الإنسان لمعرفة عالمه والسيطرة على مشاكله، وبفضل هذه الأداة حققت الإنسانية أشياء رائعة، وتغلبت على مشكلات كان التصور في الماضي أنها لا تحل إلا بالسحر والخيال [١].

والمتأمل المنصف يجد أنه ما من شريعة رفعت من مكانة العقل كالشريعة الإسلامية، وما من كتاب خاطب العقل وأعلى من قيمته كالقرآن الكريم، فالعقل في الإسلام أداة التفكر، وهو أحد أهم مصادر المعرفة المعتبرة، لا سيما في المسائل والمستجدات التي لا يوجد فيها نص من كتاب أو سنة أو إجماع، وبرهان ذلك في حديث معاذ حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم قاضيًا إلى اليمن، وسأله: كيف تقضي يا معاذ؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلُو [٢] أي: ولا أقصر في الاجتهاد والنظر والبحث عن الحق، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك؛ تأكيدًا لمكانة العقل ودوره في الاجتهاد والنظر والاستدلال.

((لقد جاءت الدعوة مكررة إلى وجوب إعمال العقل منذ حرم الإسلام الخمر، حتى لا تتعطل أقدس ملكة وهبها الله لعباده، وجاء تعليل التحريم واضحًا في مخاطبة العقل والفكر والوجدان ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ ﴾ [المائدة: ٩١] وفي الاستجابة للشيطان أمام هذا الوضوح تغييب للعقل وإيقاف لملكة التفكير، إلى

---

(١) راجع باختصار وتصرف: التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ٧٢ وما بعدها.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٣٣٣/٨ ح رقم ٢٢٠٦٨، وأبو داود في سننه: كتاب الأقضية – باب اجتهاد الرأي في القضاء ١٨/٨ ح رقم ٣٥٩٢، والترمذي في سننه: كتاب الأحكام – باب ما جاء في القاضي كيف يقضي ٤٦٤/٤ ح رقم ١٣٤٢.

الوقوع في دائرة الحمق والرعونة والسفه والطيش مع تعطيل للفكر والروية والتمهل في قراءة الحق والصد عن ذكر الله والعبادات)) [١].

٢- التمييز بين عالم الغيب وعالم الشهادة: ((وعالم الغيب: هو العالم الذي لا يُشهد وليس في متناول الحواس أن تعين العقل على تصوره، ولا يدخل تحت المقاييس الحسية، أما عالم الشهادة (عالم الطبيعة) فهو العالم الذي يمكن أن يشهد بالبصر أو السمع أو بأي حاسة من الحواس، ولذلك يستعمل معه القرآن الألفاظ الدالة على الحواس والألفاظ الدالة على العقل والتفكير مشيرًا بذلك إلى أنها طرق الوصول إلى معرفة حقائقه))[٢]، ولكل منهما منهج مختلف في التعامل، فأداة العلم ووسيلته في عالم الشهادة هي "العقل"، بينما أداة العلم ووسيلته في عالم الغيب هي "الوحي"، فهو المصدر الإلهي الذي يمد الإنسان ويزوده بحاجته من العلم بشؤون الغيب، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه في القرآن بأنه المحيط علمًا بالعالميْن معًا، فقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾ [الحشر: ٢٢].

لقد فصَل الإسلام بين عالمي الغيب والشهادة، وجعل لكل منهما كيانه ونظامه والمنهج الخاص لمعرفته، ولا أضر على التفكير العلمي من الخلط بين هذين المجالين وعدم التفرقة بينهما، ((وإذا كان العقل مسموحًا له أن يصول ويجول ويخترع ويبتكر في عالم الشهادة بمحسوساته وتجريباته، فإن الأمر ليس كذلك بحال في عالم الغيب، الذي لا يمكن للعقل أن يظفر فيه بطائل إذا استقل عن هداية الوحي، ومن ثم كان منعه من الخوض في هذا الباب صيانةً له وتوفيرًا لطاقاته أن تهدر عبثًا، أو أن تنفق في ميدان خارج حدود إدراكه)) [٣]، ولذلك جاء النهي الصريح عن خوض العقل فيما لا يصح له الخوض فيه، ومن ذلك: الخوض فيما يتعلق بكُنه ذات الله وصفاته، ففي الحديث: (تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله سبحانه وتعالى) [٤]، ومن ذلك: سائر

---

(١) منهجية البحث الأدبي ومداخل التفكير العلمي: د. عبد الله التطاوي، ص ١٥، ١٦ باختصار.
(٢) الإسلام والفكر العلمي: أ. محمد المبارك، ص ١١٢.
(٣) أثر السنة في تكوين العقلية العلمية: د. أحمد قوشتي، ص ٨٩، ٩٠.
(٤) رواه الطبراني في الأوسط ٢٥٠/٦ ح رقم (٦٣١٩)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٩٥/٤ ح رقم (١٧٨٨) وقال: وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي.

الغيبيات التي لا تُعلم إلا بنصوص الوحي، كالروح، ووقت قيام الساعة، ومفاتيح الغيب الخمس، وسر القدَر، فهذه ونحوها غيبيات يختص بعلمها الله سبحانه وتعالى وحده، وهكذا يحدث التوازن في حياة الداعية، فهو يؤمن بالوحي، ولا ينكر قدرة العقل في مجاله الذي هيأه الله تبارك وتعالى للعمل فيه، وهو فهم خطاب الله واستنباط الأحكام من النصوص الشرعية، والاجتهاد في "منطقة العفو" التي أشار إليها رسول الله بقوله: (ما أحلَّ اللهُ في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيتَه) (١)، كما لا ينكر قدرة العقل في معرفة الكون وكشف أسراره وفهم قوانينه وتفسير ظواهره، واستخدام ذلك كله في مصلحة الإنسان وعمارة الأرض؛ تنفيذًا لسنة الاستخلاف، وناموس التسخير، أما أن يترك العقل ميدانه، ويخوض في غير مجاله، ويتعدى حدوده التي رسمها الله له، فهذا هو التخبط وتبديد طاقة العقل، وخسران الدنيا والآخرة.

٣- تنمية القدرة على التحليل والتركيب والاستنتاج: فالداعية طبيب، يشخص أدواء المجتمع ويصف الدواء النافع لها، وسبيله إلى ذلك: ((القدرة على الفحص الشامل الدقيق للوقائع الاجتماعية، للتمييز بين أجزائها المختلفة، وتحديد علاقة كل جزء بالآخر، مما يترتب عليه معرفة منهجية دقيقة للعلاقات الاجتماعية، وهذه القدرة على التحليل تحتاج ذكاءً وعلمًا ودراسة جيدة للمجتمع في مختلف قطاعاته وطبقاته، وليس أحد من الناس كالداعية يناط به هذا العمل الجليل. فإذا استطاع الداعية ذلك، فإنه يستطيع أن يرد الأشياء إلى عناصرها المكونة لها، عن طريق الملاحظة والتجربة والاستقراء، ومن ثم الانتقال من المقدمات إلى النتائج، وبالتالي يأتي تحليله لأي قضية من القضايا صائبًا وسليمًا ومتطلعًا إلى الاستنتاج الصحيح)) (٢).

وهو في ذلك كله يعتمد على النقد الهادف والبناء للمواقف الحياتية والظواهر الاجتماعية، بحيث يضع كل ظاهرة في سياقها الاجتماعي

---

(١) رواه الحاكم وصححه ٢/٣٧٥، ووافقه الذهبي، ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٧/٥٥ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) فقه الدعوة إلى الله: د. علي عبد الحليم محمود ١/٣٨٢ باختصار وتصرف، دار الوفاء، المنصورة، الثانية ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

والاقتصادي والتاريخي، ((ويقوم العقل بترتيب الأفكار أو الموضوعات أو القضايا أو الأحداث ترتيبًا علميًّا منطقيًّا، بحيث يبدأ فيها بالأول فالأول، ويبني الشيء فيها على الشيء، ويستدل فيها بأمر على أمر، وثمرة ذلك هو الوصول إلى نتائج علمية صحيحة مقنعة، لا يجادل فيها إلا مكابر، ورائد الداعية وموجهه إلى هذه المنهجية هو القرآن الكريم، وخاصة في تقرير مسائل العقيدة وغرسها في النفوس، أو من خلال تصحيح عقائد المشركين، أو فضح دعاواهم التي لا تبنى على منطق علمي مقبول)) (١). تلك هي العقلية العلمية التي يراد بناءها للداعية، لا العقلية التي تتسم بالسطحية، وانعدام الرؤية الكلية، وغياب ملكة النقد، وإصدار الأحكام على غير أساس سليم.

المطلب الثاني: تعزيز ثقافة التفكير السنني

"السنني" نسبة إلى السنن، والسنن: جمع سنة، وهي الطريقة والسيرة والعادة (٢)، وقد تضاف إلى الله سبحانه وتعالى فيقال: "السنن الإلهية" ويراد بها: ((وقائع سنها الله في الأمم أو الكون، جارية على طريقة واحدة، هي عادة الله في الخلق، فهي تمثل قانونه الذي يسير وفقه الكون، وهي قواعد عامة يُحتكم إليها في تحليل الحاضر والتخطيط للمستقبل)) (٣)، ويستنتج من ذلك أن "السنن الإلهية" لها سمتان أساسيتان: الأولى: سمة العموم والشمول: فهي تشمل الناس جميعًا دون استثناء ولا محاباة. والثانية: سمة الثبات والدوام: فهي ثابتة لا تتغير، ودائمة لا تتبدل ولا تتحول، وذلك قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، والمعنى: ((لن تجد لسنن الله مع الذين خلوا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع

---

(١) راجع بتصرف: منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية: خليل الحدري، ص ١٣٤.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٣/٢١٢٤، والمعجم الوسيط، ص ٦٩٨.

(٣) الثقافة السننية وصناعة المستقبل: د. عمار جيدل، (مقال منشور) بمجلة حراء، إسطنبول، العدد (٢٤) السنة السادسة ٢٠١١م، ص ٩.

الآتين تبديلا))[١]، فهي تجري على الآخرين كما جرت على الأولين، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى بالسير في الأرض لأخذ العبرة من السنن السابقة فقال: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وعليه فالتفكير السنني: هو التفكير الذي يراعي السنن الإلهية ولا يتجاهلها ولا يتصادم معها، بل يفكر في ضوئها، ويعمل على إصلاح الواقع وفقًا لها، ومثل من يجهل الثقافة السننية ويتجاهل التفكير السنني كمثل رجل ((سئل في امتحان عن عاصمة العراق، فكانت إجابته عمان، وعندما استفسر بعد الخروج من الامتحان ذُكر له أن عاصمة العراق هي بغداد، فتوجه إلى الله داعيًا بقوله: اللهم اجعل عمان عاصمة العراق! فهل يمكن أن تتحول عمان عاصمة العراق؟! وهو بدوره لا يختلف عن رجل يسكن الطابق الثالث في عمارة، وصعد مصعد عمارته يقصد زيارة صديقه في الطابق السابع، ولما صعد ضغط على زر الطابق الأول، فأدرك خطأه بعد الضغط على الزر مباشرة، ثم بدأ بالدعاء قائلا: اللهم اجعل هذا المصعد يصعد عوض أن ينزل! فهل يمكن أن يتحقق له مقصده بهذا الدعاء مهما كان مخلصًا؟! والمثالان السابقان لا يختلفان عن قصص كثيرة لها دلالة عميقة على فقد الثقافة السننية، تتضمن في مجملها تحصيل النتائج من غير مقدمات صحيحة، فضلا عن فقد المنهج الصحيح في النظر للمسائل)) [٢].

ولذا كان من أوجب واجبات الدعاة والمصلحين: تدبر كتاب الله المسطور وكتابه المنظور وهو الكون بماضيه وحاضره، وذلك للكشف عن السنن الإلهية في حياة البشر والمجتمعات، والتي يفهم من خلالها عوامل نهوض الحضارات وسر سقوطها، وما من شك في أن استحضار دروس الماضي وعبره مما يعين على فهم الواقع الحاضر، والتخطيط السليم للمستقبل. يقول ابن تيمية رحمه الله: ((ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واطراد فعله وسننه لم يصح الاعتبار بها؛ لأن الاعتبار إنما

---

(١) التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢٢/ ١١٢، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، طبعة ١٩٩٧م.

(٢) الثقافة السننية وصناعة المستقبل: د. عمار جيدل، ص ٧.

يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره، كالأمثال المضروبة في القرآن وهي كثيرة)) (١)، مشيرًا بذلك إلى اطراد السنن وثباتها، وهو ما يجعلها بمثابة قواعد ثابتة وضوابط حاكمة، ومرجعية موثوقة لفهم الواقع، وبناء تصور سليم للحكم على الأشياء في ضوء سنن الله في الاجتماع البشري.

لقد أولى المسلمون الأوائل تلك السنن رعاية كاملة، واحترموا قوانين الأسباب والمسببات، فحققوا نهضة علمية وحضارية شهد لها العالم، ثم خلف من بعدهم خلفٌ من المربين والموجهين ((أشعروا الأمة بأن الواجبات العادية قد تتخلف، وأن قانون السببية – على الإجمال – غير ملزم ولا مطرد، فقد توجد النار ولا يوجد الإحراق، وقد يوجد الماء ولا يوجد الرِّي، وقد يوجد السكين ولا يوجد القطع!! منكرين بذلك ما أودع الله في الأشياء من خواص، وما ناطه بها من آثار، فإن الأسباب – بقدر الله فيها – تؤتي نتائج حتمًا، أما خوارق العادات فلها شأن آخر، وهي إذا صدقت شذوذ يؤكد القاعدة ولا يهدمها، أما أن تصير تلك الخوارق هي القاعدة، فهذا تصور لا ينضج معه علم، ولا يصح فيه بحث، ولا يملك أصحابه الأدوات التي يحققون بها نجاحًا عمليًّا في هذه الحياة، والمقرر في العلوم الكونية والتجريبية والإنسانية وغيرها أن قانون السببية محترم وأن رفضه جنون)) (٢)، وعليه يتوجب على الدعاة إعلاء قيمة التفكير الذي يراعي السنن الإلهية ويحسن التعامل معها، ويحترم قانون السببية ويجعله الأصل في الحكم على الأشياء.

مقتضيات التفكير السنني:

١- تحرير العقل من الأوهام والخرافات والأساطير: والأوهام والخرافات هي تصورات وأفكار فاسدة لا دليل عليها ولا برهان، يتوارثها الناس أحيانًا فتكتسب شيئًا من التقديس، وبمرور الزمن تصبح أمورًا مسلمة لا تحتاج إلى نظر أو تفكير، وتصبح مخالفتها والخروج عليها أمرًا صعبًا (٣)، والفرق بين

---

(١) جامع الرسائل: ابن تيمية ٥٥/١، دار العطاء، الرياض، الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

(٢) راجع: الدعوة الإسلامية في القرن الحالي: الشيخ محمد الغزالي، ص ٦٨، ٦٩، دار الشروق، القاهرة، الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٣) التفكير وتنميته: عبد الوهاب حنايشة، ص ٥٧.

الأسطورة والخرافة: أن الأسطورة غالبًا ما تقدم تفسيرًا متكاملا للعالم أو لمجموعة من ظواهره، في حين أن الخرافة جزئية تتعلق بظاهرة أو حادثة واحدة، والأسطورة كانت سابقة لظهور العلم، حيث كانت تقدم تفسيرًا للعالم فيما كان يجب أن يقوم به العلم، أما الخرافة فهي طريقة في التفكير تقوم على إنكار العلم ورفض مناهجه، أو اللجوء في عصر العلم إلى أساليب سابقة على هذا العصر، وكثيرًا ما تستخدم الخرافة والأسطورة بمعنى واحد أو بمعنيين متقاربين، وأيًّا ما كان الأمر، فقد ظلت البشرية واقعة تحت تأثير الأسطورة والخرافة ردحًا طويلا من الزمن، وهي – بلا شك – سمة من سمات التفكير غير الناضج في عصور طفولة العقل البشري، ويتفوق العلم على التفكير الخرافي لسببين هما: الأول: أن التفكير الخرافي يجعل الإنسان يقف عاجزًا تجاه مظاهر الطبيعة، بينما بالعلم يسيطر عليها. والثاني: أن نتائج العلم مضمونة، بينما التفكير الخرافي تفسيراته غير مضمونة، فهو ناتج عن العجز عن الفهم في العصور القديمة، وعن عدم القدرة على التحكم في العصور الحديثة (١).

وما سميت "الجاهلية" بهذا الاسم إلا لانتشار الجهل بكل ألوانه، فقد كان للدجل والشعوذة سوق رائجة، وسيطر الكهنة والعرافون والسحرة والمنجمون على عقول العامة، وادعوا قدرتهم على معرفة الغيب وخرق سنن الكون، وجاء الإسلام والحالة هذه، فحرر عقول الناس من تلك الأوهام والخرافات، وأعلن أن الغيب لا يعلمه إلا الله، ودعا إلى احترام السنن وإعلاء قانون الأسباب والمسببات، وقد ظهر ذلك جليًّا في غضبة النبي صلى الله عليه وسلم حينما رأى الناس يتجهون للتعليلات الخرافية، وذلك حين حدث للشمس كسوف في حياته صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك اليوم نفسه يوم وفاة ولده إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم؛ اعتقادًا منهم بأن ذلك إنما يكون لموت عظيم من الناس، فانتفض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجمع الناس وخطب فيهم قائلا: (إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله يريهما عبادَه، فإذا رأيتم ذلك

(١) راجع بتوسع: التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ٤٨ وما بعدها.

فافزعوا إلى الصلاة وادعوا الله) (١)، وهكذا انتصر النبي صلى الله عليه وسلم للعلم، وأسقط الأوهام والخرافات التي شاعت بين الناس، بإعلانه أن ما حدث إنما هو آية من آيات الله تجري وفق سنن الله وتقديره.

إن خطورة الفكر الخرافي تتمثل في أنه يظل راسخًا في أذهان كثير من الناس حتى في عصر العلم، وليس كما يظن البعض أن عوام الناس فقط هم الذين تستولي عليهم الأوهام وتروج بينهم الخرافات، بل إن بعض من ينتسبون إلى العلم والفكر قد تستولي عليهم الأوهام والخرافات وتشكل قيدًا على تفكيرهم، وهو ما أشار إليه بعض العلماء الأوروبيين بقولهم: ((إن خيرة العلماء ينسون قواعد العلم ومناهجه حينما يكونون إزاء أهواء السحر، وما ذلك إلا لسلطان الأوهام)) (٢)، ولذلك شن الإسلام حملة شديدة على هذا النوع من التفكير، وأنكر كل ما لا يقوم على السنن الطبيعية والاجتماعية في أمور الحياة والرزق والطب والعلاج وسائر العلاقات، وهو بذلك يحاصر الأوهام والخرافات، أيًّا كان نوعها أو مصدرها، فقد حرم الإسلام تعليق التمائم والودع والأحجبة ونحوها من الأمور التي يظن البعض أنها تجلب له الخير والنفع، أو تدفع عنه الشر والضرر، قال صلى الله عليه وسلم : (من تعلق تميمةً فلا أتمَّ اللهُ له، ومن تعلق وَدَعةً فلا وَدَع الله له) (٣)، وفي رواية: (من علق تميمة فقد أشرك) (٤)، وجعل إتيان السحرة أو العرافين والكهان من كبائر الذنوب التي قد تصل لدرجة الكفر، قال صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من تطيَّر أو تُطُيِّر له، أو تكهَّن أو تُكُهِّن له، أو سَحر أو سُحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الكسوف – باب الصلاة في كسوف الشمس ١/٣٥٤ ح رقم ٩٩٦ من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

(٢) تاريخ الجدل: الإمام محمد أبو زهرة، ص ١١، دار الفكر العربي، القاهرة، الثانية ١٩٨٠هـ.

(٣) رواه أحمد في مسنده ٦٢٣/٢٨ ح رقم ١٧٤٠٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٥/٥: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجالهم ثقات.

(٤) رواه أحمد في مسنده ٦٣٧/٢٨ ح رقم ١٧٤٢٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٥/٥: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات.

بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) (١)، وأنكر "التنجيم" الذي يقوم على الاعتقاد في تأثير النجوم على أقدار العباد، حيث يقوم المنجمون بالتنبؤ بالغيبيات والمستقبليات، ويربطون ذلك بالنجوم وحركاتها في زعمهم(٢)، قال صلى الله عليه وسلم : (من اقتبس علمًا من النجوم؛ اقتبس شعبةً من السحر) (٣)، ومعلوم أن السحر من موبقات الذنوب، وبذلك أغلق الإسلام كافة منافذ الوهم والخرافة، وأفسح بذلك المجال للتفكير السنني الذي يقوم على الارتباط بين المقدمات والنتائج، وبين الأسباب والمسببات ارتباطًا موضوعيًّا، وهو بذلك يؤسس لخطاب دعوي يقوم على المنهج العلمي والأخذ بالأسباب في معالجة المرضى، وتدبير الأمور، وتحسين العلاقات، ومواجهة الأعداء، وتفسير الظواهر الطبيعية،.. إلخ.

٢- تفسير الظواهر تفسيرًا علميًّا: وأقصد بذلك: ربط الظواهر بأسباب منطقية (يقبلها العقل ويقرها الشرع) بحيث تبدو أقرب إلى المعقولية، وهذا هو منهج الإسلام، فحين تناول القرآن هزيمة المسلمين في أحد، لم يذكر أنهم هزموا بسبب أرواح شريرة ونحو ذلك من الخرافات التي كانت رائجة في البيئة العربية، والتي يلجأ إليها البعض – أحيانًا – لتبرير فشله وعجزه، وإنما ربط القرآن الكريم الهزيمة بأسباب منطقية، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٥]، ((والتولي الذي وقع فيه مَن ذكرهم الله

---

(١) رواه البزار ٥٢/٩، والطبراني ١٦٢/١٨ ح رقم (٣٥٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠١/٥: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة.

(٢) وهذا بخلاف علم الفلك، فهو يقوم على الملاحظة والتجربة والمشاهدات والحسابات الرياضية، وعليه فإن علم النجوم المحرم هو: علم تأثيرها لا تسييرها. راجع: فيض القدير للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي ١٠٤/٦، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(٣) رواه أبو داود ٢٢/٤ ح رقم ٣٩٠٧، وابن ماجة ٣٩٣/٥ ح رقم ٣٧٢٦، وصححه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

تعالى يتناول الرماة الذين تركوا أماكنهم التي أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالبقاء فيها لحماية ظهور المسلمين، كما يتناول الذين لم يثبتوا بجانب النبي صلى الله عليه وسلم ، بل فروا إلى الجبل أو إلى غيره عندما اضطربت الصفوف، فالآية تشمل الذين تولوا عن القتال، أو تركوا أماكنهم فلم يثبتوا فيها طلبًا للغنيمة)) (١)، وتساءل المسلمون متعجبين: ﴿ أَنَّىٰ هَٰذَا ﴾؟! كيف نهزم ونحن مسلمون وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء مشركون، فجاءهم الجواب: ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، أي: بسبب مخالفتكم أمر النبي صلى الله عليه وسلم وإقبالكم على جمع الغنائم.

وفي غزوة حنين ربط القرآن هزيمة المسلمين أول الأمر بسبب واضح هو الاغترار بالقوة والإعجاب بالكثرة فقال:﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥]، وهو منهج قرآني فريد يعلم المسلمين أن يفكروا بأسلوب علمي يراعي سنن النصر والهزيمة فيعملوا بمقتضاها، ولا يخالفوها أو يتجاهلوها أو يتصادموا معها.

وقد جاءت السنة النبوية مساندة للقرآن الكريم في تلك المنهجية، ففي البخاري أن رجلا أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، وُلِد لي غلام أسود، فقال عليه الصلاة والسلام: هل لك من إبِل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حُمْر، قال: هل فيها من أوْرَق؟ [والأورق: الأغبر الذي في لونه بياض إلى سواد] فقال: نعم، قال: فأنَّى ذلك؟ قال: لعله نزعَهُ عِرْق [أي: جذبه إليه وأظهر لونه عليه فأشبهه، والعِرْق: الأصل من النسب] قال صلى الله عليه وسلم : (فلعل ابنك هذا نزَعَهُ عِرْق) (٢) ((لقد كان بوسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لذلك الرجل: لا عليك هو ابنك، ولكنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يزيح عن كاهل ذلك الرجل الذي اقتحم عليه الشك مكامن

---

(١) التفسير الوسيط: د. محمد سيد طنطاوي ٣٠٧/٢، ٣٠٨، دار المعارف، القاهرة، طبعة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. مراجعة د. عبد الرحمن العدوي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطلاق – باب إذا عرض بنفي الولد ٢٠٣٢/٥ ح رقم ٤٩٩٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الطمأنينة، وغزت الظنون ذهنه، فجاء وقد وسوس له الشيطان بوساوسه حول طهر زوجته وعفافها، فتلقاه المبعوث رحمة للعالمين بحوار مقنع بلغ الغاية في الإقناع الفكري، كانت وسيلته سلسلة من الأسئلة التي طرحها الرسول صلى الله عليه وسلم بفكر ذلك الرجل إلى بناء فهم صحيح، واستنتاج سليم مبني على مسلمات وأسس صحيحة تستند على مثال من الواقع الحي، حتى تكون نتيجة الإقناع نابعة من ذات المتعلم، ويعبر بها عن نفسه بعد أن يكون قام بعمليات معرفية استعمل فيها التحليل والمقارنة، وتحديد عناصر التشابه، وربط الأمر بمثيله، والموازنة بينهما)) (١).

وهكذا يعلم النبي صلى الله عليه وسلم الدعاة أن يعتمدوا الأساليب العلمية في تفسير الظواهر وعلاج المشكلات، بحيث ينفذوا إلى أعماقها، ويخرجوا بتفسير وحلول لها قائمة على معطيات علمية موثوقة، فإن الداعية ((مهما امتلك من فنون الأداء ونفوذ الشخصية، ومهما كانت القضية التي يتحدث فيها خطيرة، فإن العامل الأساسي في نجاحه وتأثيره، سيظل ما يملكه من معلومات ومعارف عميقة ودقيقة وشاملة حول الموضوع الذي يتحدث فيه أو الظاهرة التي يتناولها أو المشكلة التي يعالجها، فالناس لم يعودوا يُؤخَذون كثيرًا بالكلمات الأنيقة والعبارات الرنانة إذا لم ترتكز على معطيات علمية موثوقة، وعلى معانٍ قوية ومتماسكة)) (٢).

ما عاد يجدي أن يتناول الداعية ظاهرة "البطالة" أو مشكلة "الانفلات الأخلاقي" بالصراخ والعويل والعبارات الجوفاء التي تبقي الخطاب الدعوي في إطار تعميمات ثقافية إسلامية عامة، بل الواجب على الدعاة أن يكونوا على إلمام واسع بالموضوعات التي يطرقونها، وما يتطلبه ذلك من دراسة مستوعبة للواقع، تمكنهم من معالجة الظواهر والمشكلات بطريقة علمية، تشخص المرض وتحدد الأسباب بموضوعية، وتنطلق من ذلك كله إلى تصور واضح للعلاج يوزع الأدوار ويحدد المسؤوليات بحيث يجعل الجميع شركاء في

---

(١) التفكير والبحث العلمي: د. محمد بكر نوفل، ود. فريال محمد أبو عواد، ص ٢٢، دار المسيرة، عمان، الأردن، الأولى ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(٢) المتحدث الجيد "مفاهيم وآليات": د. عبد الكريم بكار، ص ٣٩ بتصرف يسير، دار السلام، القاهرة، الأولى ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

مواجهة الظواهر والمشكلات، وتلك هي "الطريقة العلمية" التي عرفها العلماء بأنها ((أسلوب منظم للنظر إلى الأشياء والتفكير في المشكلات)) (١)، وهي الطريقة الوحيدة لعلاج الظواهر المرضية التي تمثل الأسباب الحقيقية – في الغالب – لكثير من المشكلات.

٣- نبذ ثقافة العجز والاتكالية التي تؤدي إلى الانهزام النفسي: وهي ثقافة تنتشر وتروج في أوقات الضعف وفترات الانكسار، حيث يكثر التنظير على حساب الحركة والعمل والأخذ بالأسباب، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى بالإعداد والاستعداد بدلا من الركون والاستكانة والاتكالية فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وفي أوقات الضعف وفترات الانكسار يكثر اللجوء إلى الخرافات وتنتشر الأراجيف، ويتشبث الناس بالأوهام، وتروج بينهم الإشاعات؛ الأمر الذي دعا إلى الاعتقاد بأن ((الشعور بالعجز هو العامل الأساسي في ظهور الخرافة واستمرارها، حيث يلجأ الإنسان في تعليله للأحداث إلى قوى لا عقلية تساعده على التخلص من المشكلات التي يواجهها تخلصًا وهميًّا، بدلا من أن تساعده على حلها أو حتى مواجهتها بطريقة واقعية)) (٢)، وانتشار ثقافة العجز والاتكالية له مظاهر كثيرة في واقعنا المعاصر، منها:

أ- الاستغراق في الحديث عن أمجاد الماضي وبطولاته الغابرة: وهي محاولة للهروب من الواقع بمشكلاته إلى الماضي بمنجزاته التي لا تُنكَر، فبعض الدعاة دائم الحديث عن الإنجازات الحضارية الفذة التي قدمتها أمة الإسلام للعالم قبل عشرة قرون، وأن الغربيين أخذوا من حضارتنا المنهج التجريبي، كما أخذوا الكثير من العلوم، ثم ما كان منهم إلا أن تنكَّروا لذلك، والبعض الآخر يحاول التقليل من شأن ما أضافه الغربيون إلى ما اقتبسوه من غيرهم، ولهذا فإنهم مهتمون بذكر مثالب الحضارة الغربية، وبيان عيوبها وأنها على وشك الانهيار. ولا خلاف على أن الأمة الإسلامية كانت الأكثر تقدمًا

(١) التفكير العلمي ودور المؤسسات التربوية: د. محمد الجمال، ص ١٥.
(٢) التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ٥٧.

وتحضرًا بين الأمم مدة لا تقل عن ثمانية قرون (١)، كما لا خلاف على أن الحضارة الغربية قد أخذت الكثير من حضارتنا سواء اعترفوا بذلك أم تنكروا له، ولكن الاستغراق في الحديث عن هذه الأمور والمبالغة في تناولها، والاقتصار على مجرد التغني بها دون الانطلاق منها إلى محاولة استعادة أمجاد الماضي وإصلاح الحاضر، هو لون من العجز والهروب الذي لا يفيد الخطاب الدعوي بل يضره، ويجعل البعض يتهمه بأنه خطاب سلبي.

ب-التفسير التآمري للتاريخ والأحداث: فبعض الدعاة مسكون بنظرية المؤامرة، وبالتالي يفسر كل ما حدث من انتكاسات في الماضي وما يحدث من انكسارات في الحاضر بأنه نتاج مؤامرة كونية، وما من شك في أن المبالغة في التفسير التآمري للأحداث الماضية والمعاصرة لدرجة الهوس، ينافي "التفكير السنني" الذي يقتضي النقد الموضوعي للذات، للوقوف على الأخطاء وعدم تكرارها، وتشخيص الأدواء ووصف الدواء الناجع لها.

كما أن المبالغة في التفسير التآمري للأحداث يؤدي إلى الشعور بالعجز وقلة الحيلة، فطالما أن كل شيء حدث ويحدث إنما كان ولا يزال بتخطيط مسبق وتدبير محكم من أعداء الإسلام، فما نحن إلا بمثابة أحجار على رقعة الشطرنج، يحركها أعداؤنا كما يشاؤون، وطالما كان هؤلاء الأعداء متفوقين علينا ماديًّا وتكنولوجيًّا فلا نملك إلا التسليم لمخططاتهم والاستجابة لرغباتهم، وهو ما أثمر نوعًا من ((الجبرية في العالم الإسلامي، ونشأ عن ذلك أن الشخصية الإسلامية اهتزت، وسيطر عليها لون من التسليم والسلبية)) (٢)، وكل هذا يؤدي حتمًا إلى اليأس والهزيمة النفسية، والوصول في نهاية المطاف إلى الحالة التي وصفها مالك بن نبي – رحمه الله – بـ "قابلية الاستعمار".

ج- انتشار أنماط التفكير التي تتسم بالعجز والسلبية: ومنها: التفكير من خلال الخوارق، فالبعض ينتظر التغيير ويحلم بانتصار المسلمين على أعدائهم بخارقة تحدث أو معجزة تقع تنهي وجود أعداء الإسلام وخصومه، فهم ينتظرون خسفًا أو مسخًا أو صاعقة تنهي وجود الكافرين وتريحنا من

---

(١) راجع بتصرف: تجديد الخطاب الإسلامي "الشكل والسمات": د. عبد الكريم بكار، ص ١٧٤ وما بعدها، دار المسلم، الرياض، الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٢) الدعوة الإسلامية في القرن الحالي: الشيخ محمد الغزالي، ص ٦٧.

شرهم، والبعض الآخر ينتظر المنقذ المخلص الذي سينقذ الله به البلاد ويخلص العباد من شر أعدائهم، دون جهد وإعداد وأخذ بالأسباب.

عقب حادثة الإساءة إلى رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم انتشرت رسالة على الهواتف المحمولة ومن خلال وسائل التواصل الاجتماعي، تنص على (وفاة الرسم الدنماركي الذي أساء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم)، والرسالة مزيلة بعبارة: انشر بسرعة، فدولته تحاول التكتم على الخبر ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤]، ومثل هذه الأمور تمثل نمطًا من التفكير الذي يجافي التفكير السنني، ويتسم بالعجز والسلبية، والاحتياج للإحساس بالانتصار والنجاح، حتى ولو كان انتصارًا كاذبًا ونجاحًا وهميًّا في ظل هزائم متتالية ومتلاحقة تحدث على أرض الواقع.

وواجب الدعاة حيال هذه الانهزامية والإحساس بالعجز والاتكالية أن ينتقلوا من دائرة توصيف الأزمات إلى دائرة العمل على إيجاد الحلول للمشكلات، وأن يبينوا للناس أنهم شركاء في المسؤولية، وأن القرآن قد رسم طريق التغيير، فكما أن الهزائم والانكسارات تحدث لأسباب من عندنا ومن داخل أنفسنا، فالتغيير لا بد أن يبدأ من عندنا ومن داخل أنفسنا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، وتلك سنة الله في خلقه.

المطلب الثالث: تحرير العقل من التعصب والجمود والتقليد والتبعية

هناك آفات تقلل من فاعلية العقل وتحول دون قيامه بوظيفته الكبرى، وتقف عائقًا أمام التفكير العلمي وتحصيل المعرفة العلمية الصحيحة، منها: التعصب والجمود، والتقليد، والتبعية، ويراد بالتعصب: ((أن يجمد المرء على فكرة وصلت إليه بطريقةٍ ما فلا يقبل لها مناقشة، ويرفض أن ينظر في أي رأيٍ آخر يعرض عليه، بل إنه قد يعجز عن استبانة الرأي الآخر وما قد يكون فيه من صواب أو خطأ؛ لأن عقله استغلق فلا يتحمل جديدًا ولا مزيدًا)) (١)، وذلك لأنه جمد على لون واحد من التفكير، فهو لا يحيد عنه، ولا يقبل مجرد مناقشته، والتقليد – كما جاء في كتاب "التعريفات" للجرجاني – عبارة عن

(١) الحق المر للشيخ محمد الغزالي، الجزء الأول، ص ١٠١، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، السابعة ٢٠٠٥م.

اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقدًا للحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه (١)، فالمقلد يعطل ملكاته العقلية عن التفكير، ويسير في ركاب الآخرين على غير بصيرة، وهو بهذا المعنى يعد مذمومًا؛ لأنه يقوم على الانقياد والتبعية المطلقة من غير نظر وتأمل، والمقلدون المقصودون هنا هم الذين يتبعون كل ناعق بلا دليل ولا برهان، وهو ما نبه إلى خطره ابن الجوزي – رحمه الله – حين قال: ((وفي التقليد إبطال منفعة العقل؛ لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر، وقبيحٌ بمن أعطي شمعة يستضيئ بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة))(٢).

وما من شك في أن الجمود والتقليد الأعمى والتبعية الفكرية للآخرين دون إمعان نظرٍ أو استناد إلى حجة بينة وبرهان سليم، إنما هي أدوات لتعطيل دور العقل الذي به نعرف الله ونفهم خطابه، ونستنبط أحكامه، وبه نعرف الكون ونكتشف أسراره وقوانينه، وبه نفكر بطريقة علمية سليمة.

والمتأمل في حال مجتمعاتنا اليوم يجد أثر هذه الآفات واضحًا من خلال عدة مظاهر، أذكر منها:

١ – التعصب للشيء أو ضده: وهي حالة تؤدي إلى الاضطراب، وتعوق التفكير السليم، سواء كان هذا التعصب لشخص، أو لرأي، أو لفكرة يتمسك بها صاحبها دون نظر إلى كون تلك الفكرة تستند إلى دليل علمي معتبر أم لا، فهو يلزم هذه الفكرة ويتمسك بها ويتعصب لها، بحيث لا يحيد عنها ولا يقبل غيرها.

((والتعصب هو اعتقاد باطل بأن المرء يحتكر لنفسه الحقيقة، وبأن غيره يفتقرون إليها، ومن ثم فهم دائمًا مخطئون، ويترتب على ذلك أن المتعصب لا يفكر فيما يتعصب له، بل يقبله على ما هو عليه فحسب، وهنا تتمثل خطورة التعصب، من حيث هو عقبة في وجه التفكير العلمي، فالتعصب يلغي التفكير الحر والقدرة على التساؤل والنقد)) (٣)، وأنَّى لإنسان أن يستفيد

---

(١) التعريفات للجرجاني، ص ٩٠، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى ١٤٠٥هـ. تحقيق: إبراهيم الإبياري.

(٢) تلبيس إبليس: ابن الجوزي، ص ٧٤، دار الفكر، بيروت، الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٣) راجع: التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ٧٩، ٨٠ باختصار.

من آراء الآخرين وخبراتهم وهو يعتقد أنهم على خطأ؟! ولذلك كان التعصب مدعاة للانغلاق والجمود الفكري، والتحجر العقلي الذي يصل بصاحبه إلى النظرة الأحادية الضيقة للمواقف والقضايا، الأمر الذي يجعل الباب مغلقًا أمام الحوار وقبول الآخر، فأنت عندما تجلس مع شخص متعصب، فإن أول ما يتبادر لذهنك هو عدم جدوى الحوار معه، أو وجود إمكانية لتغيير آرائه.

إن التعصب يجعل صاحبه كالأرض السبخ التي لا تقبل الماء ولا تنبت العشب، فهو لا يسمع إلا نفسه، ولا يأخذ من الأدلة إلا ما يؤكد صحة رأيه، وهو في سبيل ذلك يلوي أعناق النصوص ويطوعها لتتفق مع آرائه وأفكاره، وهذه بيئة أبعد ما تكون عن التعددية الفكرية التي تؤدي إلى الثراء المعرفي.

ويظهر أثر التعصب واضحًا في المجال الدعوي حين ينفضّ الناس من حول الداعية وينفرون منه، وفي المنهج القرآني أمرٌ بأن يعرض الحق بالرفق واللين، وبالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فما بالك برأي أو فكرة يتعصب لها صاحبها حتى ولو كانت عارية من الدليل والحجة والبرهان؟!

٢- التقليد الأعمى للآباء والأجداد: وذلك لأن ((الآراء الموروثة عن الأجداد يُعتقَد أن لها قيمة خاصة، وأنها تفوق الآراء التي يقول بها المعاصرون، ويرتكز هذا العنصر على الاعتقاد بأن الحكمة كلها والمعرفة كلها تكمن في القدماء، وهي فكرة لا تستند إلى أساس من الواقع؛ لأن القدماء كانوا بشرًا مثلنا، معرضين للصواب والخطأ، كما أن قدم الرأي لا ينبغي أن يعد دليلا على صوابه، والواقع أن الميل إلى الأخذ بآراء القدماء يزداد في عصر الركود والانصراف عن التجديد)) (١)، ذلك أن الإنسان إذا عجز عن مسايرة الواقع وتغييره هرب إلى الماضي، وبرر هروبه هذا بإضفاء نوع من التمجيد والقداسة على آراء الأقدمين.

لقد صور القرآن الكريم معاناة الأنبياء عليهم السلام من معضلة تقديس ميراث السابقين وإضفاء الصنمية عليه، فكانوا كلما دعوا أقوامهم إلى الإيمان واتباع ما أنزل الله كان الرد: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة: ١٧٠]، ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٤]، ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا

(١) المرجع السابق، ص ٦٥، ٦٦ باختصار.

تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [إبراهيم: ١٠]، ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، فكان تقديسهم لتراث آبائهم سببًا في تعطيل عقولهم، وقد استنكر القرآن ردَّهم هذا، مبينًا أن هؤلاء الآباء ينقصهم العقل والعلم والاهتداء إلى الصواب، قال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقال في موضع آخر: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٤]، فالإسلام لا يرضى للمسلم أن يلغي عقله ليلهث وراء سنة آبائه وأجداده على غير بصيرة، ((وحين يقول الإسلام للإنسان: يجب عليك أن تفتح عينك ولا تنقاد لما يوبقك مغمض العينين، فكأنه يقول له: يحق لك أن تنظر في شأنك، بل في أكبر شأن من شؤون حياتك، ولا يحق لآبائك أن يجعلوك ضحية مستسلمة للجهالة التي درجوا عليها)) (١)، ولا يزال دعاة اليوم يواجهون هذا الجمود والتقليد الأعمى لما كان عليه الآباء والأجداد، وعلى الدعاة أن يبذلوا جهدهم ويستفرغوا وسعهم حتى تتهيأ عقول الناس لقبول الحق والتمسك به، مهما كان مخالفًا لما استقر في قلوب وعقول المدعوين من أباطيل تناقلوها عن آبائهم وأجدادهم، وفي القرآن دعوة صريحة لأصحاب العقول السليمة أن يتأملوا كل قول يعرض على مسامعهم، فيُعمِلوا فيه عقولهم ويُخضعوه للبحث والتمحيص، ومن ثم يأخذون الأفضل ويدَعون غيره، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ١٨] والتفكير العلمي يقتضي: رفض التقليد الأعمى للآباء والأجداد، ووضع ما خلفوه من أقوال وأفعال ومعتقدات موضع الاختبار والتمحيص وفق ميزان الشرع وفي ضوء العقل.

٣- التبعية للسادة والكبراء والمشاهير: فقد شدد القرآن النكير على التبعية العمياء للسادة والكبراء حتى ولو كانوا على ضلال، وقد صور القرآن حسرات الأتباع وهم يتقلبون في النار قائلين: ﴿ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ

(١) التفكير فريضة إسلامية: عباس محمود العقاد، ص ٢٦.

﴿ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٦ - ٦٨]، وفي الصحيح أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله)، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب (١)، فانظر إلى ضغط السادة والكبراء كيف حال بينه وبين كلمة التوحيد!!

ويدخل ضمن هذا الباب أيضًا: الخضوع لآراء البعض والتسليم بها لمجرد شهرة القائلين بها، حتى ولو كانت آراء مرجوحة أو مغلوطة، ((فالرأي يكتسب سلطة كبرى في أذهان الناس إذا صدر عن شخص اشتهر بينهم بالخبرة والدراية في ميدانه، والواقع أن الشهرة تجلب المزيد من الشهرة، تمامًا كما أن المال يجلب المزيد من المال، فيكفي أن يشتهر إنسان لسبب قد لا يكون له علاقة مباشرة بكفاءته، حتى يحدث تأثير "تراكمي" لنفوذه وسلطته على الناس، بحيث تتتبع الجماهير أخباره، وتتلقف كلماته، وتزيد عليها تفسيرات وتأويلات تعطيها قيمة لا تكون جديرة بها أصلا))(٢).

٤- اتباع الجمهور وإن كانوا على خطأ: وذلك بمتابعة الناس بغير برهان، ويطلق عليه البعض "التأثير الجماهيري"، ((ويقصدون به تأثير العامة والغوغاء من الناس على فكر الإنسان وقراراته وأحكامه وسائر تصرفاته أو بعضها، وذلك بإثارة العواطف تارة، وبإثارة الحماس غير المنضبط تارة، وبإحداث الصخب والتشويش الذي يفقد الإنسان معه قدرته على التفكير المتأني تارة، وبالتهويل والمبالغة تارة أخرى)) (٣).

ولذلك حذر الإسلام من الانسياق وراء الجمهور والتبعية له دون أدنى نظر أو تروٍّ، ففي القرآن أمرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم بأن ينطلق في طريق دعوته ولا يلتفت إلى ضعاف العقول الذين يشوشون على الداعية عند

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة – باب قصة أبي طالب ١٤٠٩/٣ ح رقم ٣٦٧١.

(٢) التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ٧٠.

(٣) منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية: خليل الحدري، ص ٣٤١ باختصار.

اتخاذ القرارات أو إصدار الأحكام، قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠]، ولذلك وضع القرآن منهجية للتفكير بعيدًا عن ضغط العامة وتأثير الجماهير، فقال: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ [سبأ: ٤٦] ((والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر، ويعمي البصائر، ويمنع من الروية، ويخلط القول، ومع ذلك يقل الإنصاف، ويكثر الاعتساف، ويثور عجاج التعصب)) [(١)]، ولذلك كان الأنبياء ينوعون في الدعوة، فهذا نوح عليه السلام يقول: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ [نوح: ٩] جاء في تفسير القرطبي: ﴿ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ ﴾ أي: أتيتهم في منازلهم [(٢)]، وهذا من فطنته عليه السلام ، حيث ذهب إليهم في منازلهم بعيدًا عن تأثير الجماهير، فهذا أدعى للاستجابة وقبول الحق، وكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء.

وكيف يسلم الإنسان عقله وقلبه للناس، ويدين لهم بالطاعة غير المبصرة والله تعالى يقول: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

ومما سبق يتأكد تأثير الجماهير والضغط الاجتماعي على مواقف الإنسان وقراراته، بل وعلى التفكير العلمي المنضبط بشكل عام، وكلما زادت استجابة الإنسان لهذا التأثير والضغط الجماهيري كان جزءًا من القطيع الذي يتحرك بلا غاية واضحة ولا هدف محدد، ويزداد الخطر وتعظم الكارثة إذا كان الخضوع لسلطة الجماهير من الدعاة والمصلحين، وقادة الرأي والفكر، وذوي التوجيه والتأثير الذين يملكون القدرة على التفكير السليم، فإذا وقع هؤلاء تحت تأثير الجماهير وخضعوا لسلطتهم فهذا خطر كبير وشر مستطير.

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (المعروف بتفسير الكشاف): أبو القاسم الزمخشري ٥٩٩/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (المسمى بتفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي ٣٠٠/١٨، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. تحقيق: هشام سمير البخاري.

ويظهر هذا واضحًا في حرص بعض الدعاة على ترديد ما يثير إعجاب الجماهير إرضاءً لهم وانتزاعًا لمزيد إعجابهم، حتى ولو كان ذلك على حساب الحق الواضح والبلاغ المبين، حتى صار البعض منهم أشبه بنجوم الفن والمطربين الذين لا يشغلهم سوى انتزاع كلمات الإعجاب والتصفيق المستمر!!

وصفوة القول: أن الأمة الإسلامية لن تنهض إلا بفك قيود العقل وتحريره من الجمود والتعصب والتقليد والتبعية، وإطلاق العنان له ليبحث ويفكر ويجتهد ويستنبط ويبدع، مهتديًا بنور الوحي، وليس معنى هذا هو إهمال التراث أو التقليل من قيمته، ((فلا استغناء لنا عن القديم من الآراء والأفكار والمفاهيم والمعلومات، ولكن حاجتنا إليه يجب أن تتجسد في جعله مواد يشتغل عليها العقل اقتباسًا وتوظيفًا وتعديلا وتنميةً ونقدًا، لا أن نصبح أسرى له، فالتعامل معه على أنه مجموعات من المعطيات الجاهزة والصافية سيضر بحركة التفكير، وسيبعدها عن الواقع المعيش)) [(١)]، ولن يحدث التوازن المطلوب إلا بإخضاع ما يرِدُنا من حصيلة الفكر البشري للدرس والتمحيص، والتعامل معه بقاعدة أن كل واحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم وما وصلنا عن طريقه من وحي قرآني ونبوي، وما سوى الوحي من كلام السابقين، سواء كانوا آباء وأجداد أو سادة وكبراء أو مشاهير، يخضع للنقد العلمي المنضبط بنور الوحي وميزان الشرع.

المطلب الرابع: الحرص على طلب العلم النافع

لقد شرف "التفكير العلمي" بانتسابه إلى العلم، ولا يمكن للإنسان أن يفكر بطريقة علمية إلا إذا كان عنده الحد الأدنى من العلم الذي يتسم بـ "النفع والإفادة"، وقد قبح القرآن قومًا حملوا العلم ولم ينتفعوا به فقال: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ [الجمعة: ٥]، ووجه الشبه بينهم وبين الحمار هو عدم الانتفاع في كل، وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع)[(٢)]، وهذه

---

(١) خطوة نحو التفكير القويم: د. عبد الكريم بكار، ص ١٠٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٢٠٨٨/٤ ح رقم ٢٧٢٢ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه .

النصوص وغيرها تؤكد على فكرة التلازم بين العلم الذي مدحه الإسلام وحث على طلبه وبين تحقق النفع والاستفادة منه، وإلا أصبح وبالا على الإنسان وحجةً عليه لا له، ((ويترتب على هذا المفهوم المتكامل للعلم نتائج هامة منها: أن العلم في الإسلام يربط الإنسان بالله، فالعلم لا يكون علمًا حقيقيًّا إلا إذا أدى إلى الإيمان، والإيمان لا يكون حقيقيًّا إلا إذا أدى إلى العمل الصالح، ومنها: أن العلم بهذا المفهوم يحرص على أن يكون القائم به وهو الإنسان متصفًا بصفات أخلاقية لا غنى عنها ليكون سلاح العلم في يده سلاحًا نافعًا له ولغيره من الناس، ومنها: أن هناك صلة وثيقة في الإسلام بين العلم والعمل، ولهذا لا تدرس العلوم لذاتها، وإنما تدرس لهدف الاستفادة منها وتطبيقها فيما ينفع الناس، والإسلام لا يشجع التفكير النظري والتأمل الفلسفي في أبراج عاجية بعيدًا عن المجتمع المسلم ومشاكله، أو الدخول في مجادلات بيزنطية عقيمة لا يترتب عليها عمل نافع، بل قد تضر أكثر مما تنفع)) [(١)]، وعليه فإن غاية العلم ومقصده الأسمى في الإسلام أن يعرف الإنسان بخالقه، وأن يعينه على إنجاز المهمة التي خلق من أجلها، وهي العبادة وإعمار الأرض.

وحتى يكون العلم نافعًا ومفيدًا، ويؤدي دوره في ضبط التفكير لدى الإنسان والارتقاء به حتى يكون تفكيرًا علميًّا، لا بد من مراعاة عدة أمور على النحو التالي:

١- التوثيق والضبط: وهو ما يطلق عليه "الأمانة العلمية"، فالأمانة لا تقتصر على الجوانب المادية فقط، بل تمتد لتشمل الجوانب العلمية والفكرية، وهي من ألزم الصفات للداعية، ومردّ ذلك إلى أن ((قدرة الناس على مناقشة الأفكار والمفاهيم وتبين مدى الصدق والكذب في الأخبار ومدى الصواب في الآراء محدودة، وكلما تدنت مرتبتهم المعرفية والثقافية زاد عجزهم عن القيام بذلك، وعولوا في قبول ما يسمعون على ثقتهم بالمتحدث)) [(٢)]، ومن هنا وجب على الداعية أن يحرص على الأمانة العلمية حتى ينال ثقة المدعوين ويحظى

---

(١) راجع بتوسع: الإسلام والعلم "مقارنة بين مفهوم العلم الحديث ومفهوم العلم في الإسلام": د. أحمد عبد الحميد غراب، ص ٤٣ وما بعدها، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) المتحدث الجيد: د. عبد الكريم بكار، ص ١٢٧.

باحترامهم، ويكون مؤهلا لإقناعهم، ومن مقتضيات "الأمانة العلمية": إسناد كل قول لقائله ونسبة كل فكرة لصاحبها: وهذا من بركة العلم، ومن جميل ما قيل في ذلك: ((من بركة العلم وشكره عَزْوه إلى قائله)) ، وشرح ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام فقال: ((من شكر العلم أن تستفيد الشيء، فإذا ذكر لك قلت: خفي عليَّ كذا وكذا، ولم يكن لي به علم حتى أفادني فلان فيه كذا وكذا، فهذا شكر العلم)) [١]، وأمانة الداعية تقتضي أن يقر الحق لأصحابه، وأن يحفظ لأهل السبق فضلهم وسبقهم، وألا يبخس الناس أشياءهم، وهو ما يفسر نشأة علوم الإسناد وتفرد الأمة الإسلامية بها، وحفاوة علماء الإسلام بذلك حتى قال ابنُ المبارك: ((الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء)) [٢].

ومن مقتضيات الأمانة العلمية: تحري الصدق والدقة في نقل العلم: وهو ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (نضَّر اللهُ امرءًا سمع منا حديثًا فبلَّغه كما سمعه) [٣]، وهي فضيلة تقتضيها منهجية التفكير العلمي، ومن ذلك: ((أن يتحدث المتحدث وهو موقن بأن ما يقوله إن كان خبرًا فقد وقع فعلا، وإن كان عبارة عن اقتراح أو وجهة نظر فإنه يكون مقتنعًا به تمام الاقتناع، وإذا كان ما يقوله عبارة عن ظن غالب، فإن الصدق يقتضي أن يقول للناس: هذا ما يغلب على ظني، وإذا كانت درجة تأكده ليست كبيرة، فإن الصدق يقتضي أن يمتنع عن استخدام الألفاظ المؤكدة))[٤]، وقد ضرب لنا السابقون أروع الأمثلة في تحري الدقة والاحتياط حين يقول أحدهم بعد رواية الحديث: نحو هذا، أو كما قال، أو شبيهًا بهذا، بل كان الأمر يصل – في بعض الأحيان – إلى طلب البينة من الراوي على صدقه، فقد ذكر المغيرة بن شعبة شيئًا وقال: سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي ٢٧٣/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٩٩٨م. تحقيق: فؤاد علي منصور.

(٢) مقدمة صحيح مسلم: باب أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات ١٢/١.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه: كتاب العلم – باب الزجر عن كتبة المرء السنن مخافة أن يتكل عليها دون الحفظ لها ٢٦٨/١ ح رقم ٦٦، وقال محققه شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٤) المتحدث الجيد: د. عبد الكريم بكار، ص ١٢٨، ١٢٩.

الصديق رضي الله عنه : هل سمع ذلك معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه أبو بكر [١].

ومن مقتضياتها كذلك: الاعتماد على المصادر الموثوقة: فالداعية يلتمس الحقائق من مصادرها الصحيحة، وينتقي من كتب التراث ما وافق الشرع والعقل، وإلا كان كحاطب ليل، يجمع من هنا وهناك دون توثيق ولا ضبط، وهو ما حذر منه الشيخ محمد أبو شهبة رحمه الله فقال: ((لا يزال بعض الخطباء، ولا سيما من لم يتأهلوا التأهل اللازم، والذين لا يزالون يعتمدون في خطبهم على الكتب التي لا يعتمد عليها في معرفة الأحاديث والتمييز بين صحيحها وضعيفها وموضوعها، والذين جعلوا غايتهم استرضاء الجماهير، فيذكرون لهم أحاديث في الترغيب والترهيب، وحكايات وقصصًا مثيرة عجيبة، أغلب الظن أنها من وضع القصاص وجهلة الزهاد الذين استباحوا ذلك، وكان جل همهم تملق الجماهير واستمالتهم بذكر المبالغات والتهاويل والعجائب والغرائب)) [٢]، وهو ما لا يستقيم مع منهج علمي يرتقي بعقول الناس، ولا مع خطاب دعوي يستهدف نقل المدعوين من محيط الخرافات والأباطيل والأوهام والضلال إلى محيط العلم والحقائق.

٢- الأناة في قبول الأفكار والحكم على الأشياء: وهي صفة يحبها الله ورسوله، ويقتضيها التفكير العلمي السليم، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأحد أصحابه: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة)[٣]، والحلم هو العقل، والأناة هي التريث والتثبت وترك العجلة، وهي صفة لازمة للداعية تساعده على التروي في قبول الأفكار واتخاذ القرارات وبناء التصور والحكم على الأشياء، وحتى يتحقق بها الداعية يلزمه اتباع ما يلي:

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٤/٢٢٥ ح رقم ١٨٠٠٧، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: الشيخ محمد أبو شهبة، ص ١٩ باختصار، مكتبة السنة، القاهرة، الرابعة ١٤٠٨هـ.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان – باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه ١/٤٦ ح رقم ١٧ من حديث معاذ عن أبيه رضي الله عنهما.

أ- عدم قبول فكرة إلا بدليل معتبر: مهما كان انتشارها، ومهما كان عدد القائلين بها، فليس بالضرورة أن تكون الأفكار صحيحة والآراء مقبولة لمجرد انتشارها، وليس انتشارها بين الناس مبررًا للأخذ بها وقبولها بلا برهان واضح ودليل معتبر يشهد لها ويدل على صحتها وصدقها، فالبعض يعتقد أن ((الرأي يكتسب سلطة أكبر إذا كان شائعًا بين الناس، وكلما ازداد عدد القائلين به كان من الصعب مقاومته، والحجة التي توجه دائمًا إلى من يعترض على رأي شائع بين الناس هي: هل ستكون أنت أحكم وأعلم من كل هؤلاء؟!)) [(١)].

لقد اعتبر القرآن أن الآراء والأفكار التي تساق بلا دليل يثبتها أو برهان علمي يدل على صحتها هي مجرد ادعاء ساقط لا قيمة له، وعاب على من يرفعون شعار: "اعتقد وأنت أعمى" أو "أغمض عينيك واتبعني"، ولذلك لما ادعى نفرٌ من اليهود والنصارى أنهم الأوْلَى بدخول الجنة طالبهم القرآن بالدليل فقال: ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]، ويختلف الدليل باختلاف نوع القضية المطروحة، فالقضايا العقلية بحاجة إلى البرهان النظري، والقضايا النظرية بحاجة إلى توثيق الرواية وضبطها علميًّا، بينما الأمور الحسية يتم إثباتها بالمشاهدة والملاحظة والتجربة، ولذلك لما تجرأ المشركون على الملائكة ووصفوهم بالأنوثة استنكر عليهم القرآن بقوله: ﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾ [الزخرف: ١٩]، ولما تأخر الهدهد عن نبي الله سليمان عليه السلام مبررًا ذلك بما شاهده في مملكة سبأ، لم يكتف سليمان عليه السلام بما سمع، وإنما قال: ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٧] إعلاءً لقيمة الدليل والبرهان.

إن أخطر ما تبتلى به المجتمعات هو التصديق بكل ما يقال، وبالتالي تتحول الظنيات إلى يقينيات لا تقبل الشك، وتتحول الأفكار إلى عقائد لا تقبل الجدل، ويدافع الناس عن قناعات لا تستند إلى دليل ولا تقوم على أساس؛ علمًا بأن المنهج العلمي في أبسط معانيه يقتضي عدم قبول أي فكرة إلا بدليلها، ومن القواعد العلمية التي قررها علماء البحث والمناظرة: ((إذا كنت

(١) التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، ص ٦٧، ٦٨.

ناقلا فالصحة، وإذا كنت مدعيًا فالدليل))[١]، وما سوى ذلك فهو كلام مرسل لا يمت إلى العلم والمعرفة بأدنى صلة.

ب- عدم القول بغير علم: ففي القرآن نهيٌ عن ذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] قال قتادة: ((لا تقل: رأيتُ ولم ترَ، وسمعتُ ولم تسمع، وعلمتُ ولم تعلم)) [٢]، وفي القرآن أيضًا توبيخ لليهود والنصارى على جدالهم في أمور لا علم لهم بها، قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ ﴾ [آل عمران: ٦٦]، ويعظم الخطب وتزداد المصيبة إذا وقع الدعاة في ذلك، فخاضوا في أمور لم يحيطوا بها علمًا، وأفتوا بغير علم، ذلك أنهم مرجعية الناس وروادهم، وهو ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (إن الله لا يقبض العلمَ انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالا فسُئِلوا فأفتَوْا بغير علم، فضَلوا وأضَلُّوا) [٣].

ج- التروي قبل بناء الأحكام واتخاذ القرارات: فلا ينبغي للداعية أن يتخذ قرارًا أو يتبنى موقفًا أو يصدر حكمًا على شخص أو فكرة إلا بعد دراسة متأنية وتفكير علمي شمولي ((يتناول الظاهرة من جميع جوانبها ويتحرى جميع أجزائها وما يتعلق بها، بخلاف التفكير الجزئي فهو يركز على جزء من الظاهرة ثم يعمم أحكامه على بقية الأجزاء)) [٤]، وهذا يتطلب جمع كامل المادة المعرفية والمعلومات الموثوقة حول القضية محل النظر، وإعادة ترتيبها

---

(١) منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام: د. حلمي عبد المنعم صابر، ص ١٦.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (المسمى بتفسير الطبري): محمد بن جرير الطبري ٤٤٧/١٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. تحقيق: أحمد محمد شاكر.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم – باب كيف يقبض العلم ٥٠/١ ح رقم ١٠٠، ومسلم في صحيحه: كتاب العلم – باب رفع العلم وقبضه وظهر الجهل والفتن في آخر الزمان ٢٠٥٨/٤ ح رقم ٢٦٧٣ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٤) أهداف التربية الإسلامية: د. ماجد الكيلاني، ص ٦٤، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

وتأملها حتى يصل في النهاية إلى رأي سديد وحكم موضوعي، وهذا ضابط علمي ومنهج قرآني، فقد عاب القرآن على الذين يتخذون المواقف ويصدرون الأحكام قبل أن يحيطوا علمًا بالقضية التي هم بصدد معالجتها، فتأتي أحكامهم ظالمة بسبب الجهل بالموضوع، قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]، والإنسان عدو ما يجهل كما هو معلوم، وقد تأتي أحكامهم قاصرة مشوهة بسبب نقص المعلومات، أو منحازة بسبب النظرة الأحادية، وجميع هذه الأحكام تنافي "الموضوعية" التي يقتضيها التفكير العلمي، والواجب على الداعية ألا يصدر حكمًا أو يتبنى موقفًا في قضية لم يقف على أبعادها ولم يحط بجزئياتها، وإلا وقع في كثير من الأخطاء نتيجة الفهم الخاطئ أو الجزئي، وحتى يسلم الداعية من ذلك فعليه أن يطيل النظر في أي قضية تطرأ عليه، فيُعمِل فيها عقلَه، ويدرسها من سائر وجوهها وكافة احتمالاتها، إلى أن يتبين له فيها وجه الحق والصواب، وهذا من الأناة التي يقتضيها المنهج العلمي.

٣- سؤال أهل الذكر والرجوع لذوي الاختصاص: لا سيما في عصرنا الذي كثرت فيه العلوم وتشعبت فروعها، حتى صار التخصص في بعضها ضرورة، تقتضي ممن أراد أن يتقن علمًا ويبدع فيه أن يخصص أكثر جهده ووقته له، ويتبحر في مسائله، حتى يصير هذا العلم هو تخصصه الدقيق، بحيث يصبح مرجعًا لمن أراد أن يعرف دقائق هذا العلم ويفهم مسائله، وبالتالي يصبح لكل فن رجاله، فلعلوم الشريعة أهلها، وللعلوم الكونية أهلها، والمنهج العلمي يقتضي النزول عند رأي خبراء كل تخصص وشيوخه، ففي أمور الدين يُسمع للعلماء الشرعيين، وفي أمور الثروة والتعاملات المالية يؤخذ برأي الاقتصاديين، وفي أمور الحرب والقتال يجب الرجوع للخبراء العسكريين، وكذا في أمور الطب، والهندسة، والزراعة، والصناعة، وسائر أمور الحياة.

لقد أرسى الإسلام مبدأ الاعتراف بالفضل لأهله، وجعل احترام التخصص من الواجبات الشرعية، ففي القرآن تأكيدٌ على استقاء المعلومات من مصادرها الموثوقة، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وحثٌّ على الرجوع لأهل الخبرة، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾

[الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، وأمرٌ بتحكيم أهل الاختصاص عند التنازع، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نحترم أهل الاختصاص، وجاء ذلك في سنته القولية حين نص على أن أعلمَ أمته بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرأَهم لكتاب الله أبيّ، وأعلمَهم بالفرائض زيد بن ثابت [(١)]، وفي سنته العملية حين كان يستعين في كل مهمة أو ولاية بمن هو أهل لها وأكفأ من غيره، فقد استمع لمشورة الحباب بن المنذر رضي الله عنه في اختيار المكان المناسب في غزوة بدر، واستحسنها، وأثنى على الحباب قائلا: (لقد أشرتَ بالرأي) [(٢)]، وذلك لأن الحباب كان خبيرًا بالمنطقة وملمًّا بتفاصيلها [(٣)]، كما استجاب صلى الله عليه وسلم لاقتراح سعد بن معاذ في بناء عريش له في غزوة بدر، يكون فيه ويشرف على المعركة من بعيد، واستعان بحسان بن ثابت في هجاء قريش، واختار أسامة بن زيد لقيادة الجيش رغم صغر سنه، وهو بذلك يرسخ قاعدة احترام أهل الاختصاص وتقديم الأكفاء، والاستفادة من خبرتهم، والنزول عند رأيهم، والتسليم لهم فيما يُجمعون عليه.

ولو لم تعلي الأمة من قيمة احترام الكفاءات وتقديمهم، وأخذ كل شيء عن طريق أهله، فالبديل هو تصدر جهلاء المعرفة وأدعياء العلم، وتصديهم لقضايا الأمة الكبرى، وهو ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم واعتبره مؤذنًا بقيام الساعة فقال: (إن من أشراط الساعة أن يُلتمَس العلم عند الأصاغر) [(٤)]، وخطورة هؤلاء الأدعياء أنهم يتصدون لكل شيء، ويدَّعون

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٢٥٢/٢٠ ح رقم ١٣٩٩٠، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) راجع: سيرة بن هشام ١٦٨/٣، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٤١١هـ. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

(٣) راجع: الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ١٥/٢، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣٦١/٢٢ ح رقم ٩٠٨، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٦٩٥) وقال: أخرجه ابن المبارك في "الزهد" وكذا الطبراني في "الكبير"، وهذا إسناد جيد لأن حديث ابن لهيعة صحيح إذا كان من رواية أحد العبادلة عنه وابن المبارك منهم.

معرفة كل شيء، فتجد الواحد منهم يفتي في أمور الدين، والسياسة، والاقتصاد، والفنون،.. إلخ، وهو ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أيما طبيب تطبب على قوم لا يُعرَف له تطبب قبل ذلك، فأعنَتَ [أي: أضرَّ] فهو ضامن) [١]، وهو بذلك يحاصر الأدعياء ويفسح المجال لذوي الخبرة والكفاءة.

والواجب على الداعية أن يتكلم في حدود علمه، وألا يدَّعي علم ما لم يعلم، وألا يخوض في قضايا لا يحسنها ولا يلمُّ بها، وألا يقحم نفسه في أشياء خارج تخصصه، ولا يعيبه إذا سئل عن أمر لا يعلمه أن يقول: لا أعلم، فإن ((قول الرجل فيما لا يعلم: لا أعلم، نصف العلم)) [٢].

٤- الاستفادة من تجارب الآخرين وخبراتهم وعلومهم ما لم يتعارض ذلك مع أمر شرعي: فأهل الذكر الذين أمرنا الله بسؤالهم عما لا نعلمه هم المتخصصون في أي جانب من جوانب المعرفة، ولو كانوا من غير المسلمين، ما دامت معارفهم المادية وعلومهم الحياتية نافعة ويمكن الاستفادة منها، فالإسلام لا يمنع من الوقوف على حضارتهم والاقتباس من علومهم ومعارفهم والإفادة من تجاربهم وخبراتهم، وفي الحديث: (الحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحق بها) [٣]، وضعف الحديث من جهة السند لا ينفي صحة معناه، وقد جاء تأكيد ذلك في السنة العملية، ففي أعقاب غزوة بدر جعل النبي صلى الله عليه وسلم فداء من عجز من أسرى المشركين عن دفع الفدية أن يُعلِّم عشرة من غلمان المسلمين الكتابة [٤]، وفي غزوة الأحزاب قَبِل صلى الله عليه وسلم مشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندق حول المدينة، وبادر بتنفيذها، وهي خبرة فارسية ما كانت العرب تعرفها، ولذلك

---

(١) رواه أبو داود في سننه: كتاب الديات – باب فيمن تطبب ولا يعلم منه طب فأعنت ٣٢١/٤ ح رقم ٤٥٨٩، وقال محققه: حسن.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، باب ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدريه ٥٤/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ.

(٣) رواه الترمذي في سننه: كتاب العلم – باب فضل الفقه على العبادة ٥١/٥ ح رقم ٢٦٨٧، وابن ماجة في سننه ٥٩٣/٥ ح رقم ٤١٦٩، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٤) راجع: الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ٢٢/٢.

لما رأوا الخندق قالوا: ((والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها)) [١]، كذلك فعل خلفاؤه صلى الله عليه وسلم ، فقد أخذ عمر رضي الله عنه بفكرة تدوين الدواوين، وهي فكرة فارسية، والأمثلة كثيرة، وهكذا يحث الإسلام على الاستفادة من علوم الآخرين ومعافهم، وعلى التزود من الحكمة بغض النظر عن مصدرها، وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما: ((خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاءٍ خرجت)) [٢]، وهو ما يؤكد أن ((مفهوم العلم في الإسلام مفهوم إنساني، ليست فيه تلك النزعة العنصرية التي نراها في العلم الحديث، فهو يرتبط بالإسلام الذي يؤكد أن الناس سواسية، ومن حقهم بل من واجبهم أن يشاركوا في النشاط العلمي، وفي الاستفادة من منجزات هذا النشاط، فلا ينبغي أن يحتكر العلم ومنجزاته جنسٌ أو شعبٌ بعينه)) [٣].

وبدلا من مقاومة كل جديد وإن كان نافعًا، ينبغي أن نفرق بين ما يمكن اقتباسه والاستفادة منه، وما يحظر اقتباسه، فالإسلام إنما يشجع على أخذ النافع من الغير في الأمور التي لا تتعلق بالعقيدة أو التشريع أو القيم والآداب، ومن ذلك: اقتباس العلوم المادية والمعارف الكونية، كالطب، والفلك، والرياضيات، ونحوها، أما ما يتصل بالدين والقيم والمفاهيم فالواجب على المسلمين أن يتمسكوا به ويدعون غيرهم إليه، لا أن يقتبسوه من غيرهم، ولذلك غضب النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر على عمر حين رآه يقرأ شيئًا من صحائف أهل الكتاب التي دخل عليها التحريف واختلط فيها كلام الله بأوهام البشر، وقال: (أمتهوِّكون فيها يا ابن الخطاب؟ [أي: متحيرون، والمعنى: هل أنتم متشككون في عقيدتكم حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيكم؟] والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيَّة، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو كان موسى حيًّا ما وسِعَه إلا أن يتبعني) [٤]، والمستفاد من الحديث أن أمور الدين

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٤٣٦/٣.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي ١٦٨/٢.

(٣) الإسلام والعلم: د. أحمد عبد الحميد غراب، ص ٤٥.

(٤) رواه أحمد في مسنده: مسند جابر بن عبد الله ٣٨٧/٣ ح رقم ١٥١٩٥ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

إنما تؤخذ من الوحي المعصوم، بخلاف علوم الحياة ومعارفها فهي ملكية لعامة البشر، وليست لجنس أو لموطن معين.

ويستفاد من ذلك في مجال الدعوة: أن الداعية لا بد وأن يكون له اطلاع على مختلف الثقافات الأخرى، وألا يدَع ثقافة إلا ويلمُّ بشيءٍ منها، ولا ينفي هذا مبدأ التخصص ولا يتعارض معه، حتى يتمكن من مخاطبة كافة البشر كل على حسب ثقافته، وهو في اطلاعه على ثقافات الآخرين ومعارفهم يقتبس النافع منها ويستفيد منه، ويدع ما سوى ذلك مما لا نفع فيه، أو ما يتعارض مع ثوابت دينه وأصول شريعته، وهذا هو الانفتاح المنضبط الذي حث عليه الإسلام في كتابه وسنته.

المطلب الخامس: اعتماد مبدأ الملاحظة والتجربة في الأمور الدنيوية

أهم ما يميز "العلم" بالمفهوم الغربي المعاصر: أنه يقوم على الملاحظة والتجربة، ويخضع في نتائجه لمقتضاهما، ولهذا أطلق عليه "العلم التجريبي" أو "المنهج التجريبي" لاستناده على الملاحظة والتجربة والمشاهدة الحسية للظواهر الطبيعية والكونية لاكتشافها والوقوف على حقيقتها، واستخراج القوانين التي تحكمها، والانطلاق من ذلك كله إلى الابتكار والاختراع في الأمور الدنيوية، وهذا من الأعمال التي مدحها الإسلام، وجعلها من مقتضيات تكريم الله للإنسان واستخلافه، وتسخير الكون كله له. وكانت نتيجة ذلك ((ظهور الطريقة التجريبية عند المسلمين في البحث في وقت مبكر، فقد تحدث الجاحظ كثيرًا عن التجارب التي أجراها على أنواع من الحيوان، وانتقد أرسطو لأنه أورد أحكامًا لم يحققها بالتجربة، وقال جابر بن حيان: "ويجب أن تعلم أنا نذكر في هذه الكتب من الخواص ما رأيناه فقط، لا مما سمعناه أو قيل لنا، أو قرأناه بعد أن امتحنَّاه وجربناه، فما صح أوردناه، وما بطل رفضناه"[(١)]، وهكذا أحدث التفكير الإسلامي – بتأثير مباشر من القرآن والسنة – في طرائق البحث العلمي تغييرًا جذريًّا عميقًا بالغ الأهمية، ذلك أنه أقام المنهج التجريبي ولا سيما في مجال علوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية، وجعله المنهج الأساسي في ميدان البحوث الطبيعية في الطب والكيمياء والفيزياء والفلك وغيرها. وعن

(١) راجع: مقدمة كتاب الخواص الكبير لجابر بن حيان، ص ٢، مكتبة جامعة الرياض، قسم المخطوطات.

المسلمين نقل علماء الغرب العلوم الرياضية والطبيعية والمنهج التجريبي، فقد ترجموا كتب المسلمين في هذه العلوم وهي مبنية على "المنهج التجريبي"، ولم تكن النهضة الأوروبية التي سبقت العصر الحديث إلا نتيجة لترجمة التراث العلمي الذي أنتجه وأبدعه المسلمون، والطريقة التجريبية التي تقوم عليها بحوثهم، ولم يكن هذا الاتجاه في تقدم علوم الطبيعة والمنهج التجريبي لدى المسلمين إلا أثر من آثار الإسلام وتوجيه القرآن والسنة)) (١).

والمتأمل في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته العملية يجد أنه قد سبق إلى إقرار مبدأ الملاحظة والتجربة في أمور الدنيا، وقد ظهر ذلك في مجالين حيويين هما:

المجال الأول: مجال الزراعة: وذلك في قصة "تأبير النخل" التي رواها عدد من الصحابة رضوان الله عليهم . يقول طلحة بن عبيد الله: مررتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في نخل المدينة، فرأى أقوامًا في رؤوس النخل، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ قال: يأخذون من الذكر فيحطون في الأنثى يلقحون به، فقال: ما أظن ذلك يغني شيئًا، فبلغهم، فتركوه ونزلوا عنها، فلم تحمل تلك السنة شيئًا، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (إنما هو ظنٌّ ظننته، إن كان يغني شيئًا فاصنعوا، فإنما أنا بشر مثلكم، والظن يخطئ ويصيب، ولكن ما قلتُ لكم قال الله سبحانه وتعالى ، فلن أكذب على الله) (٢)، وفي رواية لرافع بن خديج أنه قال لهم: (إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيءٍ من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيءٍ من رأيي فإنما أنا بشر)، وفي رواية عائشة وأنس أنه قال: (أنتم أعلم بأمر دنياكم) (٣)، وما أشار به النبي صلى الله عليه وسلم من ترك تلقيح النخل إنما كان من باب الظن والتخمين، فقد أشار بذلك ظنًّا منه صلى الله عليه وسلم أن هذا العمل غير ضروري، وقد عبر عن ذلك بلفظ الظن، واستجاب الناس لما أشار به النبي صلى الله عليه وسلم وتركوا التلقيح عامهم هذا؛ اعتقادًا منهم بأن ذلك وحيٌ وتشريع لا يسعهم مخالفته،

---

(١) راجع بتوسع: الإسلام والفكر العلمي: أ. محمد المبارك، ص ١٢٤ وما بعدها.

(٢) رواه أحمد في مسنده ١٦٢/١ ح رقم ١٣٩٩، وقال محققه: إسناده حسن.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل – باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي ١٨٣٥/٤، ١٨٣٦ ح رقم ٢٣٦٢، ٢٣٦٣.

ولما تأثرت إنتاجية التمر وجودته، وعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجههم بالعودة لما كانوا عليه، وبين لهم ضرورة التفرقة بين ما هو وحيٌ وتشريع وبين ما هو من قبيل المشورة الدنيوية التي تخضع للخبرة والتجربة وتحكمها المصلحة.

وهكذا انتصر النبي صلى الله عليه وسلم للعلم وأيَّدَ التجربة العملية، الأمر الذي يؤكد أننا أمام واقعة تعليمية، وأن ((هذا الحديث التوجيهي – برواياته – عظيم جدا في أساسه وفي نتائجه، فقد أحال الناس في الأمور الكونية الطبيعية على تجربتهم الخاصة وعلى تفكيرهم، وجعل التفكير في هذه الأمور معرضًا للخطأ والصواب، تصدقه التجربة أو تكذبه)) [١]، وهو ما لخصته عبارة: (أنتم أعلم بأمر دنياكم)، ففي أمور الوحي والتشريع يجب الخضوع لقانون السماء، بينما في أمور الدنيا فالأمر متروك لعقول الناس ومعارفهم ولما تنتجه تراكمات الخبرة والممارسة، أو المشاهدة والملاحظة والتجربة.

المجال الثاني: مجال الطب والعلاج: وهو مجال تتجسد فيه عناية الإسلام بالعلم القائم على التجربة، فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على التداوي وجعله حقًّا من حقوق البدن لا ينبغي أن يُهمَل، قال صلى الله عليه وسلم : (لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله) [٢]، وهو بذلك يبث الأمل في نفوس المرضى ويطمئنهم، بل ويحثهم على التداوي وعدم اليأس من إمكانية الشفاء مهما كانت أمراضهم مزمنة أو مستعصية، كما يحث الأطباء على القيام بواجبهم في البحث والتفكير العلمي القائم على التجربة، فقد سئل صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله، أنتداوى؟ قال: (تداوَوْا، فإن الله لم يُنزل داءً إلا أنزل له شفاءً، عَلِمَهُ مَن عَلِمَه، وجَهِلَهُ مَن جَهِلَه) [٣]، فالدواء موجود، ولكنه يحتاج إلى بذل المزيد من الجهد من ذوي الخبرة والاختصاص للكشف عنه والوصول إليه.

---

(١) الإسلام والفكر العلمي: أ. محمد المبارك، ص ٣٦، ٣٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب السلام – باب لكل داء دواء واستحباب التداوي ١٧٢٩/٤٤ ح رقم ٢٢٠٤ من حديث جابر رضي الله عنه .

(٣) رواه أحمد في مسنده ٣٩٨/٣٠ ح رقم ١٨٤٥٦، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٣٣/٥: رواه أحمد والطبراني، ورجال الطبراني ثقات.

وحذر من العدوى في عالم الإنسان فقال صلى الله عليه وسلم : (فرّ من المجذوم فرارك من الأسد) [١]، وفي عالم الحيوان فقال صلى الله عليه وسلم : (لا يوردنَّ ممرِضٌ على مُصِحّ) [٢]، داعيًا بذلك إلى فصل الإبل المريضة بالجَرَب عن الإبل السليمة وقت ورود الماء تفاديًا للعدوى، وعلَّمَ الدنيا كلها كيف يكون التعامل مع الأوبئة من خلال ما يُعرَف بـ "الحجر الصحي" أو "العزل الصحي" للوقاية من وباء الطاعون والحدّ من انتشاره فقال: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرضٍ فلا تخرجوا منها فرارًا منه) [٣]، وهو ما تأكدت الحاجة إليه وظهرت أهميته في جائحة كورونا (Covid – 19).

وفي الموطأ أن أحد الصحابة أصيب بجرح فاحتقن الدم، فدعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم رجلين من بني أنمار، فنظرا إليه، فسألهما: أيكما أطبّ؟ [أي: أحذق وأمهر] فقالا: أوَفي الطب خيرٌ يا رسول الله؟ فقال: (أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء) [٤]، إعلاءً منه صلى الله عليه وسلم لقيمة الخبرة والكفاءة في أمور الطب وغيرها. قال ابن القيم معلقًا على الحديث: ((ينبغي الاستعانة في كل علم وصناعة بأحذق مَن فيها فالأحذق، فإنه إلى الإصابة أقرب)) [٥].

وخلاصة ما سبق: أن الأحاديث الواردة في تأبير النخل، وفي الحث على التداوي ونحوها تشكل منهجًا إسلاميا واضحًا في اعتماد التجربة مصدرًا

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٤٤٩/١٥ ح رقم ٩٧٢٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب – باب لا هامة ٢١٧٧/٥ ح رقم ٥٤٣٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب – باب ما يذكر في الطاعون ٢١٦٣/٥ ح رقم ٥٣٩٧، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام – باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها ١٧٤٠/٤ ح رقم ٢٢١٩ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه مالك في الموطأ: كتاب العين – باب تعالج المريض ٩٤٣/٢ ح رقم ١٦٨٩ من حديث زيد بن أسلم رضي الله عنه .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية: فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في الإرشاد إلى معالجة أحذق الطبيبين ١٣٢/٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

للمعرفة البشرية، وفتح الباب واسعًا أمام البشر للبحث والاختراع والتطوير في أمور الطب والزراعة والصناعة، وسائر الأمور الدنيوية.

كثيرًا ما كان يستوقفني أناسٌ في المسجد وغيره، يشكون إليّ ما يعانونه من أمراض كالصداع والاكتئاب ونحو ذلك، ويرجعون سبب ذلك مباشرة وبدون تفكير إلى مس شيطاني أو تلبس جنيّ وما شابه، فكنتُ أرفض هذا المسلك وأستبعده تمامًا، وأوصي السائل بأن يذهب إلى الطبيب أولا، فيتعلل بعضهم بأنه ذهب إلى الطبيب وتناول كثيرًا من العلاج دون جدوى، فأتحسس حاله مع الله، فإذا لمستُ منه تقصيرًا أو غفلة أنصحه بالرجوع إلى الله والمحافظة على العبادات والأوراد، وقد يكون سبب ما هو فيه ضغوط نفسية ناتجة عن مشاكل في البيت أو في العمل ونحو ذلك، فأفكر معه وأقترح عليه حلولا لعلاج تلك المشاكل، وكنتُ أهدف من وراء ذلك إلى ترسيخ منهجية التفكير بطريقة علمية تراعي سنن الله في التداوي والعلاج والأخذ بأسباب التعافي، مستلهمًا ذلك من منهج الإسلام العلمي في كتابه وسنته.

وبعد، فإن من أوجب الواجبات على الدعاة في هذه الأيام أن يعززوا قيم المنهج العلمي، وأن يعلموا المسلمين كيف يفكرون بطريقة علمية سليمة، ذلك أن استقامة الحركة وصحة التوجه ينتجان عن استقامة التفكير، وتلك هي البداية الحقيقية لعودة المسلمين إلى الجادة، وهي الطريق لتفوقهم علميًّا وحضاريًّا ومدنيًّا وعسكريًّا، وإلا بقي المسلمون في التيه، أعني تيه الجهل والأوهام والخرافات، فليبادر الدعاة والمربون وذوو الرأي والتأثير والموجهون إلى القيام بدورهم في نشر ثقافة التفكير العلمي بين المسلمين، كلٌّ في مكانه، وأن يعملوا على سريان الروح العلمية في كافة مجالات الحياة وسائر ميادينها الدعوية والتربوية والتعليمية.

خاتمة

وفي ختام هذه الجولة حول أهمية التفكير العلمي وتطبيقاته في المجال الدعوي، يمكن استنتاج الآتي:

١- التفكير فريضة شرعية باعتباره مناط المسؤولية والتكليف، وبه تتحقق إنسانية الإنسان وتميزه عن سائر المخلوقات، وضرورة إنسانية لكونه وسيلة العقل في فهم ما يدور حوله.

٢- تسود في ثقافتنا بعض أنماط التفكير التي تقوم على الخرافة، وتتسم بالعشوائية والارتجال والهروب من تحديات الواقع ومشكلاته، وهو ما ينافي التفكير العلمي الذي يرصد الظواهر والمشكلات رصدًا دقيقًا، ويعمل على مواجهتها دون تهويل أو تهوين، ويسعى لعلاجها بأساليب علمية موضوعية.

٣- تؤكد تعريفات "العلم" في الثقافة الإسلامية على شمول معنى العلم في الإسلام، فهو غير قاصر على علم الشرائع والأحكام فحسب، بل يشمل علوم الدين والدنيا معًا، أما في الثقافة الغربية فمصطلح العلم لا يكاد يطلق سوى على العلم التجريبي القائم على الملاحظة والتجربة الحسية، وخطورة هذا التصنيف أنه يحصر صفة اليقين في العلوم الرياضية والطبيعية، وما عداها من العلوم الإنسانية ونحوها فهو محل شك، وبالتالي فهو ليس علمًا في زعمهم.

٤- التفكير العلمي ليس حكرًا على العلماء وحدهم: فهو نشاط عقلي هادف ومنظم يشمل العلماء وغيرهم، كما يشمل كافة أنواع العلوم، إذا التزمت المنهجية الصحيحة لكل مجال من مجالات العلوم.

٥- لم يعد التفكير العلمي رفاهية، بل هو فريضة العصر وواجب الوقت، لا سيما في الدعوة والتربية والتعليم، وسائر منصات التوجيه والتأثير.

٦- من خصائص التفكير العلمي: التراكمية، ومن تطبيقاتها في مجال الدعوة: الاستفادة من خبرات السابقين والتعرف على أساليبهم في معالجة المشكلات، وضرورة التعاون والتكامل بين العاملين في حقل الدعوة.

٧- من خصائص التفكير العلمي: الشمولية واليقين، ومن تطبيقاتهما في مجال الدعوة: تعميم السنن الربانية على كافة الظواهر ذات الصلة،

فهي بمثابة قوانين عامة تحكم حركة الكون والحياة، وأن القضايا الكبرى كالقضايا الاعتقادية ونحوها لا بد فيها من اليقين الذي لا يتطرق إليه شك.

٨- من خصائص التفكير العلمي: الموضوعية، ومن تطبيقاتها في مجال الدعوة: التجرد من الأهواء الشخصية والميول الذاتية في الحكم على المواقف والأشخاص والأفكار، والإنصاف والبعد عن التعميم: فالدعاة هم أوْلى الناس باتباع العدل في تناول الأمور.

٩- من خصائص التفكير العلمي: الدقة والضبط، ومن تطبيقاتهما في مجال الدعوة: الدقة في التعبير وتسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية، فالعناية بالمصطلحات تحريرًا وضبطًا من أهم مستلزمات التفكير العلمي، واعتماد أسلوب الإحصاء في مجال الدعوة، فهو مظهر من مظاهر الدقة والموضوعية.

١٠- من خصائص التفكير العلمي: الواقعية والإيجابية، ومن تطبيقاتهما في مجال الدعوة: ضرورة فهم الشرع والواقع معًا، والتركيز على الجانب العملي وتجنب الخوض فيما لا ينبني عليه عمل.

١١- يقوم التفكير العلمي على قواعد منهجية يتوجب على الداعية أن يلم بها ويوظفها في المجال الدعوي، ومنها: بناء العقلية العلمية، وتعزيز ثقافة التفكير السنني، وتحرير العقل من الجمود والتقليد والتبعية، والحرص على طلب العلم النافع بضوابطه، واعتماد مبدأ الملاحظة والتجربة في الأمور الدنيوية.

ومن خلال هذه النتائج يمكن التوصية بما يلي:

أولا: ضرورة أن يضطلع الأزهر الشريف ووزارات الشؤون الإسلامية وكافة مؤسسات الدعوة والتوجيه في العالم العربي والإسلامي بالدور المنوط بهم في النهوض بالخطاب الدعوي، وإعادة صياغة مفرداته على أسس علمية تستند إلى الواقع والمنطق، وتعلي من دور العقل، وتعزز قيم الموضوعية في طرح وتناول مختلف القضايا.

ثانيًا: ضرورة أن يقوم الدعاة بواجبهم في بث الروح العلمية بين أبناء المجتمع عامة، بحيث تكون النظرة العلمية هي السائدة في فهم الظواهر والمشكلات، وتكون العقلية العلمية هي المتصدرة في الحكم

على المواقف والأشخاص والأفكار. والسبيل إلى ذلك أن يتعلم الدعاة طريقة "التفكير العلمي" ويعلموها للناس حتى يكون المنهج العلمي أسلوب حياة.

ثالثًا: العمل على إعادة صياغة المناهج الدراسية في مختلف المراحل التعليمية، لا سيما المراحل الأولى، بحيث تتضمن المبادئ الأولية للتفكير العلمي بطريقة تلائم عقلية النشء، وتؤسس لديه القدرة على التفكير بأسلوب علمي يقبل الحقائق، ويرفض الخرافة والتعصب والعشوائية.

رابعًا: هذا الموضوع يفتح آفاقا لموضوعات بحثية كثيرة منها: الموضوعية في العلوم الإنسانية بين الواقع والمأمول، والتفكير السنني وتطبيقاته الدعوية، وأوصي الباحثين والمتخصصين في مجال الدعوة والثقافة الإسلامية أن يتناولوا هذه الموضوعات ونحوها في مشروعات بحثية مستقبلية.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم وعلومه:

١. التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، طبعة ١٩٩٧م.
٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: د. محمد سيد طنطاوي، دار المعارف، القاهرة، طبعة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. مراجعة د. عبد الرحمن العدوي.
٣. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: الشيخ محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، الرابعة ١٤٠٨هـ.
٤. جامع البيان في تأويل القرآن (المسمى بتفسير الطبري): محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. تحقيق: أحمد محمد شاكر.
٥. الجامع لأحكام القرآن (المسمى بتفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. تحقيق: هشام سمير البخاري.
٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (المعروف بتفسير الكشاف): أبو القاسم الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٨. معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود البغويّ (المسمى بتفسير البغويّ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الرابعة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخران.
٩. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١٠. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: محمد سيد كيلاني.

ثانيًا: السنة والسيرة النبوية والتاريخ:

١١. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل البخاري بطبعتيه: دار طوق النجاة، بيروت، الأولى ١٤٢٢هـ. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ودار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
١٢. دلائل النبوة للبيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ودار الريان للتراث – القاهرة، الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. تحقيق: د. عبد المعطى قلعجي.
١٣. زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
١٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، طبعة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١٥. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار الفكر، بيروت. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
١٦. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود، دار الفكر، بيروت. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
١٧. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
١٨. سيرة بن هشام، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٤١١هـ. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.
١٩. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان أبو حاتم البُستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٣م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
٢٠. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٢١. الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٢٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري: الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، الأولى ١٣٧٩هـ. عناية: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب.
٢٣. الفردوس بمأثور الخطاب: أبو شجاع الديلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول.
٢٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٢٥. الكامل لابن عدي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م. تحقيق: يحيى مختار غزاوي.
٢٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.
٢٧. مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. شعيب الأرنؤوط وآخرون.
٢٨. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
٢٩. المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.
٣٠. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
٣١. الموطأ: الإمام مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي – مصر. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

ثالثًا: اللغة والمعاجم والموسوعات:

٣٢. التعريفات للجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى ١٤٠٥هـ. تحقيق: إبراهيم الإبياري.

٣٣. التوقيف على مهمات التعاريف للعلامة المناوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الأولى ١٤١٠هـ. تحقيق: د. محمد رضوان الداية.
٣٤. لسان العرب لابن منظور، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ. تحقيق: عبد الله عليّ الكبير وآخرون.
٣٥. المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦. تحقيق: خليل إبراهيم جفال.
٣٦. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٩٩٨م. تحقيق: فؤاد علي منصور.
٣٧. المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار المعارف، القاهرة، الثانية، بدون تاريخ. تحقيق: د. عبد العظيم الشناوي.
٣٨. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بمصر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الرابعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٣٩. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، دار الفكر، بيروت، الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. تحقيق: عبد السلام هارون.
٤٠. موسوعة الفلسفة: د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الأولى ١٩٨٤م.
٤١. موسوعة الفلسفة والفلاسفة: عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، الثانية ١٩٩٩م.
٤٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، دار صادر، بيروت، الأولى ١٩٧١م.

رابعًا: التفكير ومناهجه:

٤٣. أثر السنة النبوية في تكوين العقلية العلمية: د. أحمد قوشتي عبد الرحيم، الأولى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، بدون دار نشر.
٤٤. أساسيات التفكير المنطقي والبحث العلمي: د. نجلاء محمد بكر، مؤسسة طيبة أكاديمي، الأولى، بدون تاريخ.
٤٥. أسس التفكير العلمي: د. زكي نجيب محمود، سلسلة "كتابك"، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٦. الإسلام والفكر العلمي: محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٤٧. البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه: د. ذوقان عبيدات، وآخران، دار الفكر المعاصر، القاهرة، الأولى ١٩٨٤م.
٤٨. التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي: نايف حامد همام الشريف، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٤٩. التفكير العلمي: د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (٣) سنة ١٩٧٨م.
٥٠. التفكير العلمي ودور المؤسسات التربوية في تنميته: د. محمد ماهر محمود الجمال، دار الوفاء، المنصورة، مصر، طبعة ١٩٧٩م.
٥١. التفكير العلمي وصناعة المعرفة: د. علي حبيش، ود. حافظ شمس الدين عبد الوهاب، سلسلة مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠١٥م.
٥٢. التفكير فريضة إسلامية: عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، القاهرة، طبعة ٢٠١٤م.
٥٣. التفكير والبحث العلمي: د. محمد بكر نوفل، ود. فريال محمد أبو عواد، دار المسيرة، عمان، الأردن، الأولى ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٥٤. التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم: عبد الوهاب محمود حنايشة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، سنة ٢٠٠٩م.
٥٥. خطوة نحو التفكير القويم: د. عبد الكريم بكار، دار الأعلام، عمان، الأردن، الخامسة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
٥٦. فصول في التفكير الموضوعي: د. عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق، السابعة ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
٥٧. الفكر المنهجي عند المحدثين: د. همام عبد الرحيم سعيد، سلسلة كتاب الأمة، قطر، الأولى ١٤٠٨هـ، العدد (١٦).
٥٨. مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام: د. أحمد سليم سعيدان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد (١٣١) سنة ١٩٨٨م.

٥٩. منهجية البحث الأدبي ومداخل التفكير العلمي: د. عبد الله التطاوي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٦٠. منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام: د. حلمي عبد المنعم صابر، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد (١٨٣) سنة ١٤١٨هـ.
٦١. منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة: خليل بن عبد الله الحدري، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة ١٤٢٢هـ.

خامسًا: بقية المراجع:

٦٢. أدب الدنيا والدين: أبو الحسن الماوردي، دار اقرأ، بيروت، الرابعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. عناية: محمد كريم راجح.
٦٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام الشوكاني، دار الفضيلة، الرياض، الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. تحقيق: سامي الأثري.
٦٤. الإسلام والعلم "مقارنة بين مفهوم العلم الحديث ومفهوم العلم في الإسلام": د. أحمد عبد الحميد غراب، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، بدون تاريخ.
٦٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٩٧٣م. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.
٦٦. أهداف التربية الإسلامية: د. ماجد الكيلاني، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الثانية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٦٧. تاريخ الجدل: الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، الثانية ١٩٨٠هـ.
٦٨. تجديد الخطاب الإسلامي "الشكل والسمات": د. عبد الكريم بكار، دار المسلم، الرياض، الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٦٩. تلبيس إبليس: ابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٧٠. جامع الرسائل: ابن تيمية، دار العطاء، الرياض، الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
٧١. جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، الأولى ١٤٠٨هـ.
٧٢. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ.
٧٣. الجامعة والتدريس الجامعي: د. علي راشد، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، الأولى ١٤٠٨هـ.
٧٤. الحق المر: الشيخ محمد الغزالي، الجزء الأول، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، السابعة ٢٠٠٥م.
٧٥. الخواص الكبير لجابر بن حيان، مكتبة جامعة الرياض، قسم المخطوطات.
٧٦. الدعوة الإسلامية في القرن الحالي: الشيخ محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٧٧. العلم في منظوره الإسلامي: د. صلاح الدين بسيوني رسلان، دار الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٨٩م.
٧٨. فقه الدعوة إلى الله: د. علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء، المنصورة، الثانية ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٧٩. فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية: سعد بن عبد الله القعود، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة ١٤٣٢هـ.
٨٠. فلسفة العلوم بنظرة إسلامية: د. أحمد فؤاد باشا، دار المعارف، مصر، الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٨١. في تراثنا العربي الإسلامي: د. توفيق الطويل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (٨٧) سنة ١٩٨٥م.
٨٢. القاضي والبينة: عبد الحسيب عبد السلام يوسف، مكتبة المعلا، الكويت، الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٨٣. قضية المنهجية في الفكر الإسلامي: د. عبد الحميد أبو سليمان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٨٤. المتحدث الجيد "مفاهيم وآليات": د. عبد الكريم بكار، دار السلام، القاهرة، الأولى ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٨٥. المسيحية نشأتها وتطورها: شارل جنيبر، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، بدون تاريخ. ترجمة الإمام الأكبر د. عبد الحليم محمود رحمه الله.
٨٦. المستصفى من علم الأصول: أبو حامد الغزالي، شركة المدينة، جدة، السعودية. تحقيق: حمزة بن زهير حافظ.
٨٧. الموافقات في أصول الفقه: الإمام الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: د. عبد الله دراز.
٨٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الثالثة ١٤١٨هـ. إشراف: د. مانع بن حماد الجهني.
٨٩. الموضوعية في العلوم الطبيعية: حمدان عبد الله الصوفي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة ١٤٠٩هـ.

سادسًا: مقالات ومنشورات على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت):

٩٠. الثقافة السننية وصناعة المستقبل: د. عمار عبد السلام جيدل، (مقال منشور) بمجلة حراء، إسطنبول، العدد (٢٤) السنة السادسة ٢٠١١م.
٩١. العلم هدفًا ووسيلة للتغيير: د. حامد عمار، (محاضرة) ألقيت في المؤتمر السنوي الثالث (إرادة التغيير في التربية وإدارته في الوطن العربي)، إشراف: الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، وكلية التربية – جامعة عين شمس، القاهرة، يناير ١٩٩٥م.

almasadir walmarajie

-: alquran alkarim waeulumuhu:

1- altahrir waltanwiru: alshaykh muhamad altaahir bin eashur , dar sahnun lilnashr waltawzie , tunis , tabeat 1997 mi.

2- altafsir alwasit lilquran alkarimi: du. muhamad sayid tantawii , dar almaearif , alqahirat , tabeat 1412 hi / 1992 mi. murajaeat da. eabd alrahman aleadwi.

3- al'iisrayiyliaat walmawdueat fi kutub altafsir: alshaykh muhamad 'abu shahbat , maktabat alsanat , alqahirat , alraabieat 1408 h.

4- .jamie albayan fi tawil alquran (almusamaa bitafsir altabri): muhamad bin jarir altabarii , muasasat alrisalat , bayrut , al'uwlaa 1420 hi / 2000 mi. tahqiqu: 'ahmad muhamad shakir.

5- aljamie aljamie alquran alkarim (almusamaa bitafsir alqurtubii): 'abu eabd allah muhamad bin 'abi bakr shams aldiyn alqurtibii , dar ealam alkutub , alriyad , tabeat 1423 hi / 2003 mi. tahqiqu: hisham samir albukhari.

6- ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani lil'iimam al'alusii , dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut , bidun tarikhi.

7-alkashaaf ean haqayiq altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawil (almaeruf bitafsir alkishafi): 'abu alqasim alzamakhshari , dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut , bidun tarikhi. tahqiqi: eabd alrazaaq almahdi.

8- .maealim altanzil li'abi muhamad alhusayn bin maseud albghwy (almusamaa bitafsir albghwy) , dar tiibat lilnashr waltawzie , alriyad , alraabieat 1417 hi / 1997 mi. tahqiqu: muhamad eabd allh alnamir wakhran.

9-almuejam almufaharis li'alfaz alquran alkarim: muhamad fuaad eabd albaqi , dar alfikr , bayrut , althaaniat 1401 hi / 1981 mi.
10- .almufradat fi gharayb alquran: alraaghib al'asfahanii , dar almaerifat , bayrut , bidun tarikhi. tahqiqi: muhamad sayid kilani.
(3): alsunat walsiyrat alnabawiat waltaarikhu:
11- .aljamie almusnad almukhtasar min 'umur 'umur rasul allah wasunanih wa'ayaamihu: muhamad bin 'iismaeil albukharii bitabeatayhi: dar tawq alnajaat , bayrut , al'uwlaa 1422 ha. tahqiqu: muhamad zuhayr bin nasir alnaasir , wadar aibn kathir , alyamamat , bayrut , altabeat althaalithat 1407 hi / 1987 ma. tahqiqu: du. mustafaa dib albugha.
12- .dalayil alnubuat lilbayhaqii , dar alkutub aleilmiat - bayrut , wadar alrayaan lilturath - alqahirat , al'uwlaa 1408 hi / 1988 mi. tahqiqu: du. eabd almuetaa qaleiji.
13- .zad almuead fi hady khayr aleabadi: aibn qiam aljawziat , muasasat alrisalat , bayrut , wamaktabat almanar al'iislamiat , alkuayt , alsaabieat waleishrun 1415 hi / 1994 ma.
14- .silsilat al'ahadith alsahihatu: muhamad nasir aldiyn al'albaniu , maktabat almaearif , alriyad , tabeat 1415 hi / 1995 mi.
15- .sunan aibn majata: muhamad bin yazid 'abu eabd allah alqazwini , dar alfikr , bayrut. tahqiqu: muhamad fuad eabd albaqi.
16- .sunan 'abi dawud: sulayman bin al'asheath 'abu dawud , dar alfikr , bayrut. tahqiqu: muhamad muhyi aldiyn eabd alhamid.
17- .sunan altirmidhi: muhamad bin eisaa altirmidhiu , dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut. tahqiqu: 'ahmad muhamad shakir wakhrun.

18- .sirat bin hisham , dar aljil , bayrut , tabeat 1411 ha. tahqiqu: tah eabd alrawuwf saedu.
19- .sahih aibn hibaan batr aibn bilban: muhamad bin hibaan 'abu hatim albusty , muasasat alrisalat , bayrut , althaaniat 1414 hi / 1993 mi. tahqiqu: shueayb al'arnawuwt.
20- .sahih muslamin: muslim bin alhajaaj alniysaburiu , dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut. tahqiqu: muhamad fuad eabd albaqi.
21- .altabaqat alkubraa limuhamad bin saed , dar sadir , bayrut , bidun tarikhi.
22- .fath albari sharh sahih albukhari: alhafiz aibn hajar aleasqalanii , dar almaerifat , bayrut , al'uwlaa 1379 ha. einayat: muhamad fuad eabd albaqi , wamuhibu aldiyn alkhatibi.
23- .alfirdaws bimathur alkhatabi: 'abu shujae aldaylamii , dar alkutub aleilmiat , bayrut , tabeat 1406 hi / 1986 mi. tahqiqu: alsaeid bin basyuni zighlul.
24- .fayd alqadir sharh aljamie alsaghir min 'ahadith albashir alnadhir lilealaamat muhamad eabd alrawuwf almanawi , dar alkutub aleilmiat , bayrut , al'uwlaa 1415 hi / 1994 mi.
25- .alkamil liabn eadiin , dar alfikr , bayrut , 1409 hi / 1988 ma. tahqiqu: yahyaa mukhtar ghazawi.
26- .mujmae alzawayid wamanbae alfawayidi: nur aldiyn ealii bin 'abi bakr alhaythamii , dar alfikr , bayrut , tabeat 1412 hi.
27- .musnad al'iimam 'ahmadu: 'ahmad bin hanbal alshaybaniu , muasasat alrisalat , bayrut , althaaniat 1420 hi / 1999 mi. shueayb al'arnaw wakhrutun.
28- .almustadrik ealaa alsahihayni: muhamad bin eabd allah alhakim alnaysaburii , dar alkutub aleilmiat , bayrut , al'uwlaa 1411 hi / 1990 mi. tahqiqu: mustafaa eabd alqadir eata.

29- .almuejam al'awsata: 'abu alqasim sulayman bin 'ahmad altabaraniu , dar alharamayn , alqahirat , tabeat 1415 ha. tahqiqu: tariq bin eawad allah bin muhamad , waeabd almuhsin bin 'iibrahim alhusayni.

30- .almuejam alkabira: sulayman bin 'ahmad altabaraniu , maktabat aleulum walhukm , almusil , althaaniat 1404 hi / 1983 mi. tahqiqu: hamdi bin eabd almajid alsalafi.

31- .almuata'a: al'iimam malik bin 'anas , dar 'iihya' alturath alearabii - masra. tahqiqu: muhamad fuad eabd albaqi.

(4): allughat walmaeajim walmawsueati:

32- .altaerifat liljirjanii , dar alkitaab alearabii , bayrut , al'uwlaa 1405 ha. tahqiqu: 'iibrahim al'iibyari.

33- .altawqif ealaa muhimaat altaearif lilealamat alminawi , dar alfikr almueasir , bayrut , al'uwlaa 1410 ha. tahqiqu: du. muhamad ridwan aldaayti.

34- .lisan alearab liabn manzur , dar almaearif , alqahirat , bidun tarikhi. tahqiqi: eabd allah ely alkabir wakhrun.

35- .almukhasas li'abi alhasan ealii bn 'iismaeil al'andalsii almaeruf biaibn sayidih , dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut , al'uwlaa 1417 hi / 1996. tahqiqu: khalil 'iibrahim jafal.

36--almuzhar fi eulum allughat wa'anwaeuha: jalal aldiyn alsuyutii , dar alkutub aleilmiat , bayrut , al'uwlaa 1998 mi. tahqiqu: fuad eali mansur.

37- .almisbah almunir li'ahmad bin muhamad bin ealiin almaqrii alfayuwmii , dar almaearif , alqahirat , althaaniat , bidun tarikhi. tahqiqi: da. eabd aleazim alshanawi.

38- .almuejam alwasiti: majmae allughat alearabiat bimisr , maktabat alshuruq alduwliat , alqahirat , alraabieat 1425 hi / 2004 mi.

39- .muejam maqayis allughat liabn faris , dar alfikr , bayrut , al'uwlaa 1399 hi / 1979 mi. tahqiqu: eabd alsalam harun.
40- .mawsueat alfalsafati: da. eabd alrahman badawi , almuasasat alearabiat lildirasat walnashr , bayrut , al'uwlaa 1984 mi.
41-mawsueat alfalsafat walfalasifati: eabd almuneim alhafnii , maktabat madbuli , alqahirat , althaaniat 1999 mi.
42. wafayat al'aeyan wa'anba' 'abna' alzaman liaibn khalkan , dar sadir , bayrut , al'uwlaa 1971 mi.
(4): altafkir wamanahijuha:
43-' athar alsunat alnabawiat fi takwin aleaqliat aleilmiati: du. 'ahmad qushati eabd alrahim , al'uwlaa 1437 hi / 2016 m , bidun dar nashra.
45-' asasiaat almantiqii almantiqii: du. najla' muhamad bakr , muasasat tiibat 'akadimi , al'uwlaa , bidun tarikhi.
45-' usas altafkir aleilmi: da. zaki najib mahmud , silsila "ktabika" , dar almaearif , alqahirat , bidun tarikhi.
46- al'iislam walfikr aleilmi: muhamad almubarak , dar alfikr , bayrut , al'uwlaa 1398 hi / 1978 mi.
47- albahth aleilmiu mafhumuh wa'adawatuh wa'asalibiha: du. dhuqan eabidat , wakharan , dar alfikr almueasir , alqahirat , al'uwlaa 1984 mi.
48- altarbiat al'iislamiat waqadiat altafkir aleilmii: nayif hamid humam alsharif , risalat dukturah , jamieat 'umi alquraa bimakat almukaramat , sanat 1411 hi / 1990 m.
49- altafkir aleilmi: du. fuad zakariaa , silsilat ealam almaerifat , alkuayt , aleadad (3) sanat 1978 mi.
50- altafkir aleilmiu wadawr almuasasat altarbawiat fi tanmiatiha: du. muhamad mahir mahmud aljamal , dar alwafa' , almansurat , misr , tabeat 1979 m.
51- altafkir aleilmiu wasinaeat almaerifati: da. ealiu hubaysh , wada. hafiz shams aldiyn eabd alwahaab ,

silsilat maktabat al'usrat , alhayyat almisriat aleamat lilkitab , alqahirat , sanat 2015 mi.
52- altafkir faridat 'iislamiatun: eabaas mahmud aleaqaad , dar nahdat misr , alqahirat , tabeat 2014 m.
53- altafkir altaelimi: du. muhamad bakr nufal , wada. firyal muhamad 'abu eawaad , dar almasirat , eamaan , al'urdunu , al'uwlaa 1431 hi / 2010 mi.
54- altafkir watanmiatuh fi daw' alquran alkarim: eabd alwahaab mahmud hanayishat , risalat majistir (ghayr manshuratin) , jamieat alnajah alwataniat , nabulus , filastin , sanat 2009 mi.
55- khutwat nahw altafkir alqawimi: du. eabd alkarim bakar , dar al'aelam , eamaan , al'urduni , alkhamisat 1432 hi / 2011 mi.
56- fusul fi altafkir almawdueii: da. eabd alkarim bakar , dar alqalam , dimashq , alsaabieat 1434 hi / 2013 mi.
57- alfikr almanhajiu eind almuhdithina: du. humam eabd alrahim saeid , silsilat kitab al'umat , qatar , al'uwlaa 1408 hu , aleadad (16.(
58- muqadimat litarikh alfikr aleilmii fi al'iislami: du. 'ahmad salim saeidan , silsilat ealam almaerifat , alkuayt , eadad (131) sanat 1988 mi.
59- manhajiat albahth al'adabii wamadakhil altafkir aleilmii: da. eabd allah altatawi , aldaar almisriat allubnaniat , alqahirat , al'uwlaa 1426 hi / 2005 mi.
60- manhajiat albahth aleilmii wadawabituh fi al'iislami: da. hilmi eabd almuneim sabir , silsilat daewat alhaqi , rabitat alealam al'iislamii , makat almukaramat , aleadad (183) sanat 1418 hu.
61. manhajayh altafkir fi alquran alkarim watatbiqatiha altarbawiat fi almuasasat aljamieiati: khalil bin eabd allah alhadri , risalat dukturah (ghayr manshuratin) , jamieat 'umm alquraa , makat almukaramat , sanat 1422 h.

(5): baqiat almarajie:
62-' adab aldunya waldiyn: 'abu alhasan almawardiu , dar aqra , bayrut , alraabieat 1405 hi / 1985 mu. einayatu: muhamad karim rajih.
63-' iirshad alfuhul 'iilaa tahqiq alhaqi min 'usul al'usul lil'iimam alshuwkanii , dar alfadilat , alriyad , al'uwlaa 1421 hi / 2000 mi. tahqiqi: sami al'athari.
64- al'iislam waleilm "muqaranat bayn mafhum aleilm alhadith wamafhum aleilm fi al'iislami": du. 'ahmad eabd alhamid ghurab , dar altibaeat walnashr al'iislamiat , alqahirat , bidun tarikhi.
65-' iielam almawqie ean rabi alealamina: aibn qiam aljawziat , dar aljil , bayrut , tabeat 1973 mi. tahqiqu: tah eabd alrawuwf saedu.
66-' ahdaf altarbiat al'iislamiati: da. majid alkilani , maktabat dar alturath , almadinat almunawarat , althaaniat 1408 hi / 1988 mi.
67- tarikh aljadli: al'iimam muhamad 'abu zahrat , dar alfikr alearabii , alqahirat , althaaniat 1980 hi.
68- .tajdid alkhitab al'iislamii "alshakl walsimatu": da. eabd alkarim bakar , dar almuslim , alriyad , al'uwlaa 1426 hi / 2005 m.
69- talbis 'iiblis: abn aljawzii , dar alfikr , bayrut , al'uwlaa 1421 hi / 2001 mi.
70- .jamie alrasayila: abn taymiat , dar aleata' , alriyad , al'uwlaa 1422 hi / 2001 mi. tahqiqu: du. muhamad rashad salim.
71- jamie aleulum walhakmi: abn rajab alhanbaliu , dar almaerifat , bayrut , al'uwlaa 1408 h.
72- jamie bayan aleilm wafadluh liabn eabd albiri , dar alkutub aleilmiat , bayrut , tabeat 1398 hi.
73- aljamieat waljamieat waljamieata: da. eali rashid , dar alshuruq lilnashr waltawzie , jidat , alsaeudiat , al'uwlaa 1408 hi.

74 alhaqu almur: alshaykh muhamad alghazali , aljuz' al'awal , nahdat misr liltibaeat waltawzie , alqahirat , alsaabieat 2005 ma.
75- .alkhawas alkabir lijabir bin hayaan , maktabat jamieat alriyad , qism almakhtutati.
76- .aldaewat al'iislamiat fi alqarn alhalii: alshaykh muhamad alghazalii , dar alshuruq , alqahirat , al'uwlaa 1421 hi / 2000 mi.
77- .aleilm fi manzurih al'iislami: du. salah aldiyn bisyunay raslan , dar althaqafat , alqahirat , sanat 1989 mi.
78- .fiqh aldaewat 'iilaa allah: da. eali eabd alhalim mahmud , dar alwafa' , almansurat , althaaniat 1411 hi / 1990 mi.
79- .fiqh maqasid aldaewat 'iilaa allah taealaa wa'atharuh fi hayaat aldaaeiati: saed bin eabd allah alqueud , risalat majistir (manshurati) , jamieat 'umm alquraa , makat almukaramat , sanat 1432 h.
80- .falsafat aleulum binazrat 'iislamiatin: du. 'ahmad fuaad basha , dar almaearif , misr , al'uwlaa 1404 hi / 1984 mi.
81- .fi turathina alearabii al'iislamii: du. tawfyq altawil , silsilat ealam almaerifat , alkuayt , aleadad (87) sanat 1985 mi.
82- .alqadi walbayinatu: eabd alhasib eabd alsalam yusif , maktabat almaeala , alkuayt , al'uwlaa 1407 hi / 1987 mi.
83- .qadiat almanhajiat fi alfikr al'iislami: du. eabd alhamid 'abu sulayman , almaehad alealamiu lilfikr al'iislamii 1409 hi / 1989 mi.
84- .almukhatat aljayid "mfahim waliat": du. eabd alkarim bakar , dar alsalam , alqahirat , al'uwlaa 1431 hi / 2010 mi.
.٨٥almasihiat nash'atuha watatawuruha: sharl jinibar , almaktabat aleasriat , sayda - bayrut , bidun tarikhi.

tarjamat al'iimam al'akbar da. eabd alhalim mahmud rahimah allah.

.٨٦almustasfaa min ealm al'usuli: 'abu hamid alghazali , sharikat almadinat , jidat , alsaeudiati. tahqiqu: hamzat bin zuhayr hafiz.

.٨٧almuafaqat fi 'usul alfiqah: al'iimam alshaatibia , dar almaerifat , bayrut , bidun tarikhi. tahqiqi: da. eabd allah diraz.

.٨٨almawsueat almuyasarat fi al'adyan walmadhahib wal'ahzab almazidi: alnadwat alealamiat lilshabab al'iislamii , dar alnadwat alealamiat liltibaeat walnashr waltawzie , alriyad , althaalithat 1418 ha. 'iishraf: du. manie bin hamaad aljihni.

89. almawdueiat fi aleulum altabieiati: hamdan eabd allah alsuwfiu , risalat majistir (ghayr manshuratin) , jamieat 'umm alquraa , makat almukaramat , sanat 1409 h.

(6): maqalat wamanshurat ealaa shabakat almaelumat alduwlia lantirnti

90- althaqafat alsunaniat wasinaeat almustaqbila: du. eamaar eabd alsalam jidil , (maqal manshur) bimajalat hira' , 'iistanbul , aleadad (24) alsanat alsaadisat 2011 ma.

91- aleilam hdfan wawasilat alshaq: du. hamid eamaar , (muhadaratu) almutamar alsanawii althaalith ('iiradat altaghyir fi altarbiat wa'iidaratih fi alwatan alearabii) , 'iishrafu: aljameiat almisriat liltarbiat , almarjie nafsuh , altarbiat aleilmiat , wakuliyat altarbiat - jamieat eayn shams , alqahirat , yanayir 1995 ma.